لِمَ لا ؟

الكتاب: **لمَ لا ؟**

المؤلفة: **سارة العبادي**

التصنيف: **رواية**

الناشر: **دار ملهمون للنشر والتوزيع**

الطبعة الأولى: **ابريل** 2018

الرقم الدولى المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-39-

إذن الطباعة: MC-

الطباعة : مطابع GOLDEN CITY –أ.ع.م – الشارقة، 065322347

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

info.darmolhimon@gmail.com darmolhimon @Dar_Molhimon @DarMolhimon

سارة العبادي

لمَ لا؟

الإهداء

إلى كل فتاة (رفضت) ما كانت تريد..
وإلى كل شاب، رضي بما (لا يريد) ..
إليكم أنتم، أهدي هذه الرواية

"أريد أن نشيخ معاً.."

قلتُ له وأنا أنظر لزوجين يكاد يزيد عمرهما على السبعين أو الثمانين عاماً، كانا قد اختارا كرسياً في وسط منطقة السلطان أحمد، ليستمتعا بالأجواء والمناظر الجميلة هنا في إسطنبول.

كانت الابتسامة التي تزيّن وجهيهما تجعلهما يبدوان كأنهما في العشرين من العمر، تزيّنت هي بمعطف زهري اللّون، وصَفّفت شعرها ووضعت قرطين يزيدانِها جمالاً وأنوثة، بينما غطى هو رأسه بقبعة تشبه قبعة الصيّادين، ولبس معطفاً خفيفاً أسود يناسب النزهة، كانا يبدوان في قمة السعادة والهدوء النفسي.

أخذ تنهيدة طويلة ثم قبّلني على رأسي وقال "سنكبر معاً يا عزيزتي.." .

لم أتمالك نفسي، طلبتُ منه الانتظار بينما استأذنتُ الزوجين بالتقاط صورة تذكارية لهما. ترك يدي وذهبتُ نحوهما وأنا أبتسم.. التقطت لهما صورة ستبقى في ذاكرتي ما حييت.

"تشكرات" قلت لهما لأعبر عن امتناني، ثم عدت إليه وابتسامتي تعلو وجهي، فقد حصلت على ما أريد. وضع يده حول رقبتي وضمّني بقوة، ثم أكملنا بعد ذلك المسير.

إسطنبول (أبريل ٢٠١٨)

"مريم"

إنها المرة الأولى التي أسافر فيها لدولة أوروبية. ساعدني القدر أن يتم اختياري ضمن المشاركين في هذا المؤتمر. لم يوافق والدي أن أسافر وحدي إلا بعد رجاء طويل، لذلك قررت استغلال كل دقيقة من الليالي الخمس التي سأقضيها هنا، فحرصت على الخروج من الصباح الباكر لأتجول في حي السلطان أحمد، هو الحي الأشهر في إسطنبول، والذي تتركز فيه معظم المزارات المهمة التي يقصدها السياح من جميع أنحاء العالم.

أثناء تنقلي في المكان، دهمني أحد البائعين المتجولين ليعرض عليّ (بروشوراً) للرحلات البحرية حول مضيق البسفور. قرأت عن هذه الرحلات كثيراً وهي تجربة أودّ أن أخوضها فعلاً. أخذت منه الإعلان وتوجهت فوراً إلى الميناء، ومن هناك صعدت إلى العبّارة. لم تكن مكتظة بالركاب، فالوقت مازال مبكراً. بعد دقائق انطلقت تلك الصافرة التي تشبه الحنين معلنةً بدء الرحلة.

كنت ألتقط العديد من الصور التي وددتُ مشاركة عائلتي بها حين أعود، كم تمنيتُ لو كانوا يشاركونني تلك اللحظات.

وبينما أجلس في حجرة العبّارة التي تأخذني في جولة حول مضيق البسفور الفاصل بين الجزء الأوروبي والجزء الآسيوي، بدأت أراجع كلمتي التي سألقيها في المؤتمر، الذي يبدأ بعد ثلاث

ساعات من الآن، حيث طُلب مني ومجموعة من الشباب والشابات في مختلف التخصصات أن نأتي إلى هنا كممثلين لشركة الرؤية، كي نعرض الخدمات التقنية والمميزات التي تقدّمها شركتنا في (معرض ومؤتمر إسطنبول الرابع للتقنيات وتكنولوجيا المعلومات). مئات الشركات التي تعمل في المجال ذاته ستشارك في هذا المؤتمر. حرصنا جميعاً على التركيز والتأهب للمشاركة؛ لنُظهر شركتنا في أفضل صورة.

انتهيت من المراجعة، ثم قررت منح نفسي قسطاً من الراحة كي أستمتع بالجولة قليلاً، اشتريت شاياً تركياً ومضيت خارج الحجرة. كان الجو بارداً والهواء نقياً، أخذتُ نفساً عميقاً ثم نظرت من حولي، أسرتني كل تلك المناظر الخلابة. كل شيء كان يبدو ضرباً من الخيال. كنت أشاهد على ضفتي المضيق بيوتاً بسيطة متراصة بجانب بعضها البعض، سرحتُ حينها بأفكاري وتخيلتُ حياة من يقطن فيها. نَمَت إليّ صورة العائلة الواحدة وهم مجتمعون حول موقدٍ واحدٍ، يتناولون إفطاراً دافئاً. أظنهم سعداء الآن، فمن لا يسعد وهو يستيقظ كل صباح على صوت أمواج البحر، صفارات البواخر والعبارات وصوت النورس.. يا سبحان الله؟!!

قيل لي أن الأجواء في نهاية شهر مارس إلى بداية إبريل تكون ربيعاً، فلم أحضر معي الكثير من الملابس الشتوية، لكني تفاجأت بالربيع التركي الذي أضحى غير الذي كنت أعرفه، فكدتُ أتجمدُ من البرد الذي قاومته كثيراً، لأرجع بعدها إلى الداخل.

لفت انتباهي زوجان، وربما حبيبان، كانا يجلسان في آخر ركنٍ من الحجرة، وقد مدا رجليهما على أحد الكراسي، وهما يغطان في نوم عميق، رأيتها تضع رأسها على كتفه، وهو ممسكٌ بيدها. نما إليّ شعورها بالأمان معه، دون أن تكترث أين هي طالما أنه بجانبها، فلا أحد سيستغرق هكذا بالنوم متجاهلاً ما حوله من ركاب وضوضاء إلا وهو في قمة الهدوء والطمأنينة.

لم أستطع كبح جماح رغبتي في التقاط صورة لهما، كنت أريد أن أحتفظ بهذه الذكرى معي. اقتربت منهما والتقطت لهما بعض الصور.

ـ هل استأذنتِ قبل أن تعمدي لفعل ذلك؟

تحدّث إليّ أحدهم من خلفي، التفتُ إليه بوجهٍ يستنكر ذلك السؤال، ثم أجبته:

ـ كلا فقط أعجبني منظرهم.

استغربت تدخل هذا الشخص، تبدو ملامحه عربية.

ـ كان يجب عليكِ الاستئذان منهم إذاً، هذا لا يجوز.

ـ نعم بالطبع.

ثم أبعدتُ نظري عنه لأتجاهله، فلم يعجبني تدخله فيما لا يعنيه.

ـ سامحيني على تدخلي، كنت فقط أنبهكِ، لوكنتِ في مكانهم لما أحببتِ أن يلتقط لك شخص غريب صوراً دون علمك.

ـ لا بأس، سأخبرهم بالطبع.

تركته وخرجت من الحجرة. وقفتُ على حافة العبارة أنظر إلى البحر، لقد أحرجني كثيراً، شعرت وكأنني سرقت شيئاً ليس لي، ووبِخت عليه بشدة.

ـ أنا آسف.

جاءني صوته من جديد:

ـ آنسة مريم.

نظرت إليه..

ـ كيف عرفتَ اسمي؟ من أنت؟ هل أعرفك؟

ـ أنا سيف، نحن نعمل في الشركة نفسها، ظننتكِ تعرفين من أكون.

شعرت فجأة وكأن بيانو كبيراً سقط فوق رأسي من شدة الإحراج..

ـ اممم.... كلا لم.. لم أعرفك، ربما.. شكلك مختلف، بهذا اللباس، أنا سيئة جداً في تذكر ملامح الأشخاص.

ابتسم ثم قال:

ـ سامحيني، لم أقصد إحراجك في الداخل، ولكن تصوير أي شخص بدون أخذ موافقته أمر يحاسب عليه القانون.

ـ فهمت.

ما زلت أشعر أنه مستمر في توبيخي، لا أستطيع حتى النظر في وجهه من شدة الإحراج. إن كان معنا في المؤتمر كما يدّعي، فهذا يعني أني اجتمعت معه مرتين على الأقل، كيف لم أتذكر شكله؟!

قاطع حديثنا اقتراب طيور النورس من العبّارة، أخرج سيف قطعة خبز على شكل حلقة تسمى "السميط"، ثم قام برمي قطعة صغيرة من تلك الخبزة باتجاه الطيور، فقفزت إليها إحداها والتقطتها، لم أشاهد منظراً بهذا الجمال من قبل. قفزت من مكاني عدة مرات وأنا أصفق لا أدري لمن، للطائر أم لرمية سيف؟!

- هل تودين تجربتها؟

سألني حين لاحظ حماسي الزائد.

- نعم، نعم، بالتأكيد!

أخذت الخبزة وبدأت بتقريبها وإبعادها في محاولة فاشلة للتركيز، وكأني أريد رميها نحو هدف ضيق.

- لا تحتاجين إلى كل هذا التركيز، هي طيور ذكية جدًا، ستلتقطها إحداها، فقط ألقِها باتجاهها.

بالفعل، ألقيت بها فطارت باتجاهها إحدى الطيور والتقطتها، قفزت في مكاني مرة أخرى كأنني حققت نجاحاً كبيراً أو أحرزت هدف الفوز، ضحك سيف من حماسي الذي يشبه الأطفال.

- أخبرتكِ، هي طيور ذكية جداً.

قالها بكل ثقة وهو يأكل من الخبزة التي في يده، لديه كيس معلق في يده يحوي أربع أو ثلاث خبزات، يبدو أنه يعرف لعبة طيور النورس.

ازداد حماسي وطلبتُ منه أن نفعلها مرة أخرى.

ـ هل لنا أن نفعلها مرة أخرى؟ أرجوك!

ـ نعم بكل تأكيد!

قالها وكأنه أب يريد إرضاء طفلته، أعطاني قطعة أخرى وفعلتها ثانية وبالحماس نفسه قفزت يمنة ويسرة، كم هذا مسلٍ!! لم أطعم طائراً في حياتي، لأني ببساطة أخاف منها جميعاً ولكن طيور النورس بدت لي مختلفة جداً.

بقينا هناك في مكاننا على حافة العبّارة حتى انتهت الجولة، تحدثنا حينها عن مواضيع مختلفة. يحفظ سيف تركيا عن ظهر قلب، زارها خمس أو ست مرات، يحبها ويعشق تفاصيلها وكأنها بلده الأول، يحب مذاق أكلها ويتنفس أجواءها، ويعجبه الدمج فيها بين الحضارة الإسلامية والأجواء الأوروبية، يقول إن ما تحويه من أشياء متفردة لم يجدها في أي دولة من دول العالم، الأجمل من ذلك أن لديه طقوسه الخاصة حين يزورها، مثل اعتياده على التجول حول مضيق البسفور تمام الساعة السابعة صباحاً.

تحدثنا عن مكان عملنا، يعمل في قسم العلاقات العامة، وأنا في قسم تكنولوجيا المعلومات، الغريب أننا لم نلتق أبداً من قبل، أو أننا التقينا وأنا بطبيعتي أملك قدرة ضعيفة جداً على تذكر الأشخاص من حولي. لقد حضر مثل هذه المؤتمرات والمعارض مراتٍ عدة، بحكم عمله في التسويق، فهو يعد من المنظمين الرئيسيين لمثل هذه المشاركات وبالذات الخارجية منها. قمت باستغلال هذه المعلومة وطلبت منه النصيحة. أوصاني بأن أكون على طبيعتي أولاً، وأنه لا حاجة للتوتر، والأهم من ذلك نصحني بتجنب الإجابة عن أي سؤال لا يخص موضوع العرض، أو لا يتعلق بتخصصي.

انتهت الرحلة البحرية الجميلة وعدنا إلى الميناء، كان علينا أن نعود للفندق كي نستعد للمؤتمر، رفض أن يتركني أمشي وحيدة من الميناء وحتى الفندق، ورفضتُ بدوري أن أركب معه

سيارة الأجرة خوفاً مما سيقال عني لو رآني أحدهم. انتهى بنا الحال أن مشينا معاً، كان لدينا متسع من الوقت، كانت الساعة مازالت تشير إلى الثامنة صباحاً وموعد افتتاح المؤتمر في العاشرة.

قرر سيف أن يمنحني التجربة التركية الفريدة من نوعها. فتوقفنا عند عربة الكستناء والذرة المشوية، ثم اشترينا مشروب السحلب الساخن، شربته وأحاطني الدفء وسط الطقس البارد، شعرتُ بأننا صديقان نعرف بعضنا منذ زمن بعيد. أكملنا المسير حول حي السلطان أحمد، كانت الجولة رائعة، أخذني فيها سيف من زاوية إلى أخرى، يحدثني عن المباني الأثرية وأهميتها وأصلها في التاريخ، نصحني بأهم الأماكن التي يجب عليّ زيارتها، كقصر دولما باشا، وكنيسة أيا صوفيا، ومتى يجب عليّ أن أزور كل معلم لأتجنب الزحام. كنت قد قرأت عن جميع تلك المعالم ووضعت خطة لزيارتها، لكن وصف وأسلوب سيف عنها جعلني أتمنى زيارتها برفقته.

وبينما هو يشرح ويتكلم، وأنا أنصت تارة، وألتقط بعض الصور تارةً أخرى، طلبت منه أن يلتقط صوراً لي عند كل زاوية أقف عندها. كان ينظر إليّ بضجر لأنني وكما يقول أُفسد جمال اللحظة بسبب التقاطي للعديد من الصور، هو لا يعلم أنه ربما لن أعود إلى هنا مرة أخرى، وربما لن أحظى بفرصة السفر من جديد، لهذا أحرص على تصوير كل شيء.

حين اقتربنا من الفندق، عدت إلى الواقع، وكأني كنت في حفلة سندريلا ودقت الساعة الثانية عشرة واختفى السحر، كان يجب عليّ أن أبدو كما أبدو دائماً في عملي، رسمية وملتزمة، لا أستطيع أن أغير تلك النظرة بدخولي لبهو الفندق برفقة سيف، ماذا سيقول الناس عني لو رآني أحد الزملاء؟!

- دعني أسبقك إلى الفندق لو سمحت، لا أريد لأحد يعرفنا أن يرانا ويظن بأن .... تعرف...

- بالطبع، أفهم ذلك.. تفضلي.

- استمتعت بالجولة.. شكراً.

قلت له وأنا أودعه.

"سيف"

تركتها تمضي في طريقها، لم أشعر بهذا الشعور من قبل، شعور بأن الشخص الذي معك مهتم بكل كلمة تقولها، مستمتع معك ويريد أن يسمع منك ويعرفك أكثر، كم كان شعوراً منعشاً. ذهبت إلى مقهى "حافظ مصطفى"؛ هناك أتناول إفطاري وأسلم على أصدقائي كلما زرتُ إسطنبول. سكنت في إحدى الشقق الفندقية المجاورة أثناء سنوات دراستي الجامعية هنا، وهكذا تعرفت على أصحاب هذا المقهى الذي تتوارثه العائلة منذ ١٨٦٤.

ـ سيف باشاااا.. كيف الحال؟ واحتضنني بجسمه العملاق.

ـ أهلاً أهلاً مراد، كيف حالك أنت، وكيف حال أم مصطفى والأولاد؟

ـ كلهم بخير.. متى وصلت؟ لم تتصل بي يا رجل..

- وصلت البارحة، أنت أولى محطاتي، لا أستطيع أن أبدأ الرحلة قبل أن أتناول خبزكم، وأشرب القهوة من يدَي أم مصطفى.

- بالطبع، استرح.

ثم صرخ...

- واحد خبز بالجبنة وواحد قهوة سكر معتدل لسيف باشا..

عاد إليّ..

- هيا أخبرني.. عمل أم متعة هذه المرة؟

- عمل، وربما يكون متعة يا مراد.

- هاااا أخيراً هل هناك من أعجبك!؟ لطالما أردت تزويجك لأختي.. لكنها رفضت للأسف!! غبية!!.

- الله كريم.

تناولت إفطاري بسرعة، فالوقت بدأ يدهمني، وعَدت مراد بزيارة قريبة لنجلس معاً وندخن الشيشة، وأخبره ما حصل في حياتي، ويخبرني عن حياته وعمله منذ آخر مرة رأيته.

كم أحب هذا المراد!! أبعد عنه شهوراً وأحياناً لسنوات ويستقبلني المسكين وكأني كنت معه البارحة، كم حاول إقناعي بأن أتزوج تركية، أو أشتري عقاراً هنا، فهو يعرف كم أُحب هذا البلد، وفي كل مرة أعده بأني سأفكر في الموضوع دون أن أُقدِم على شيء.

عدت إلى الفندق وتذكرت مريم،كم هي رقيقة تلك الفتاة، ولكني تساءلتُ كيف تسافر وحدها، ألا يقلق عليها أبوها أو أخوها أو أي أحد من أهلها؟ ربما هي من عائلة منفتحة، لا أرى أنه أمر سيئ أن تولّي أحدهن اهتماماً بالغاً لعملها لدرجة أنها تسافر إلى بلد غريب من أجل هذا العمل، ولكن، لا أدري، لا أظن أني سأسمح لنادية بالسفر وحدها والتجول في بلد غريب دون أن أكون معها، حتى لو كان لغرض العمل، ليس لأني لا أرضى بمبدأ سفر الفتاة وحدها، بل لأني أخاف أن يحصل لها مكروه ما، فكيف لها أن تتصرف بمفردها؟

فتّشتُ هاتفي لأرى ما إذا كانت نادية قد اتصلت لتسأل عني، ولكن كالعادة، وكما توقعت، لم تصلني منها أية رسالة، ينتابني شعور قوي بأن وجودي وعدمه سواء في حياة هذه الفتاة، حاولت الاتصال بها أكثر من مرة، ولكن دون فائدة، لا إجابة، ما زالت نائمة بالتأكيد.

حلقت ذقني ولبست بدلتي لهذا اليوم، وخرجت لأتفقد ما جهزه العمال وأتأكد من جاهزية كل شيء. أجد ذاتي في مثل هذه المؤتمرات، أفعل ما أحب فعله طوال اليوم، التحدث مع الموظفين، تكوين صداقات وعلاقات عمل جديدة، والتعرف على شخصيات من مختلف أنحاء العالم. استفادت الشركة التي أعمل بها كثيراً بسببي وبسبب العلاقات التي أكوّنها، وأصبحت من أولى الشركات التي يتم استضافتها في مثل هذه المؤتمرات والمعارض

العالمية، وبسبب علاقاتي أيضاً استقطبت العديد من الممريمسين والموظفين المتميزين ممن أتعرف عليهم، وأرى أنهم يصلحون للعمل في شركتنا وسيسهمون في تطويرها.

أخيراً تم تعييني مديراً لقسم العلاقات العامة والعلاقات الخارجية في الشركة، والتي تعتبر الآن الأشهر في المنطقة لاستحداث البرامج الذكية في جميع المجالات، لكن وبالرغم من منصبي ومشاغلي الكثيرة، أفضل دائماً أن أكون أول الموجودين في المشاركات العالمية، وأشرف على جميع المهام بنفسي، الصغيرة قبل الكبيرة.

وصلت إلى القاعة التي يقام فيها المؤتمر، كان المكان مجزّأ إلى قسمين، قسم خاص بالمحاضرات التي ستقام في أوقات مختلفة طوال الأيام الثلاثة، والقسم الآخر هو خاص بالمعرض والذي تحتل فيه كل شركة زائرة في المعرض زاوية خاصة بها لتعرض أهم خدماتها ومميزاتها، نهدف دائماً أن يكون المتحدثون في المعرض من الموظفين المتميزين في الشركة، وبناءً على ذلك قمنا بإرسال خطابات نطلب فيها من مدراء الأقسام ترشيح اثنين من الموظفين أو الموظفات المتميزين لديهم.

كان اسم مريم من أوائل تلك الأسماء في القائمة، كنت قد رأيتها في إحدى ورشات العمل التي أقيمت سابقاً لتدريب الموظفين على البرنامج الجديد، الذي استحدثه قسم تكنولوجيا المعلومات حيث تعمل مريم، وكانت هي المسؤولة عن تدريب الموظفين في تلك الورشة. كانت هادئة جداً، ورسمية لأبعد حد، تجيب على قدر السؤال، حتى إنها لم تكن تبتسم لمن يبادرها الحديث، على عكس حنان التي تعمل معي في قسم العلاقات العامة، تضحك وتتحدث بصوت عالٍ طوال الورشة، وحتى أثناء الشرح وكأنها تجلس في أحد المقاهي وليست في مكان عمل!!

كنت أراقب جميع المدربين من قسم تكنولوجيا المعلومات كمشرف على أي فعالية أو دورة تدريبية تقام في الشركة. لفت نظري انهماك مريم في العمل، وجدّيتها في تقديم أفضل ما لديها، بالرغم من قلة خبرتها. لم أرَ مريم بعد ذلك اليوم، إلا حين اجتمعت بجميع المرشحين المشاركين في مؤتمر إسطنبول وأخبرتهم عن جدول الرحلة، وما المطلوب منهم كمتحدثين باسم الشركة في المعرض.

خرجتُ من قاعة المؤتمر لأحصل على كوب من القهوة السوداء، هي الوحيدة التي تستطيع أن تهدّئ أعصابي، لاسيّما أن العمال لم ينتهوا من عملهم وقد تبقى أقل من ساعة على الافتتاح. شربت قهوتي على استعجال وفي طريق عودتي للقاعة وجدتها،

كطفلة ضائعة ومترددة، تجر قدميها الواحدة خلف الأخرى وكأنها خائفة من الدخول إلى القاعة. لا أدري لم ينتابني الشعور ذاته الذي شعرت به حين لم أستطع تركها تعود إلى الفندق وحدها، شعور بأنها مسؤوليتي ويجب عَليّ الاعتناء بها.

"حنان"

لم أحظَ بهذا القدر من النوم العميق منذ سبعة أشهر، منذ أن أنجبت ابني خالد، فهو لا يتوقف عن البكاء والصراخ طوال الليل، وبسبب صراخه يستيقظ محمد وميرة وعبدالرحمن، وتبدأ رحلة العذاب لينامو من جديد..

أطفالي الأربعة لا يفصل بين أعمارهم أكثر من عام أو عام ونصف العام، كان ذلك بسبب نصيحة أمي بعد أن أنجبت طفلي الأول "أنجبيهم الواحد تلو الآخر، هكذا تستطيعين تربيتهم جميعاً مع بعضهم البعض، و أيضاً تتأكدين أن زوجك لن يتركك أبداً" ولأني تزوجت صغيرة، ربما كنت في السابعة عشرة، كنت أستمع لجميع نصائح أمي وكأنها أوامر، يقيناً مني بأنها تعرف كل شيء، و بسبب تلك النصيحة أشعر بأني منذ أن تزوجت وأنا غارقة بين أكوام الحفاظات، مواعيد المستشفيات، حليب الأطفال و .. و .. و كل ما يتعلق بالأطفال والأمومة، و لم أحظَ بيوم واحد كزوجة من الممكن تدليلها وأخذها إلى مكان هادئ لتناول وجبة عشاء على ضوء الشموع.

لا شك أني أحب أطفالي، وأسعد لحظاتي هي حين يناديني الواحد منهم بماما، ولكنني أشعر وكأنني مقيدة بهم، أشعر بأني لهم فقط، ولا أجد وقتاً لنفسي، لحنان فقط، أنظر لزميلاتي اللواتي

لم يتزوجن بعد، أو تزوجن ولم ينجبن، وأرى السعادة تغمرهن، لا سواد تحت أعينهنّ من قلة النوم، ولا يخفنَ من صوت الهاتف من أن يكون المتصل هي الحاضنة، تطلب منهن القدوم لأخذ طفلهن لأنه مريض، ولا يستطيع البقاء هناك خشية أن ينقل العدوى لبقية الأطفال.

يساعدني زوجي في بعض الأحيان، ينهض من نومه أحياناً ليمشي حول المنزل حاملاً أحد الأطفال حتى ينام، بينما أنا أغيّر حفاظة الآخر، ولكنه في النهاية رجل، والرجال لا يتحملون ربع ما نتحمله نحن النساء، أرى في عينيه الضجر حين أطلب منه أبسط الطلبات، كأن نأخذ الأطفال للحلاق، أو لمدينة الألعاب، لا ألومه أحياناً، فهذه المشاوير غير ممتعة أبداً ومرهقة، لدرجة أن الواحد فينا يرجع بعدها إلى المنزل ولا يريد أن يفعل أي شيء آخر إلا أن ينام.

ضجرتُ من حياتي وروتيني اليومي، و لأن زوجي يعمل بوظيفة متواضعة، لم نستطع توظيف خادمة أو مربية لتساعدني في رعاية الأطفال، شعرت بأن زوجي هو الآخر بدأ يمل مني، ومن شكلي غير مرتب دائماً، وتعبي الدائم وشكواي المتواصلة من الأطفال، حتى أصبح يخرج كثيراً هرباً من الإزعاج في المنزل، وقبضت عليه أكثر من مرة يكلم نساء أخريات.. ولكنه يعود و يعتذر، أعرف أنه يعبث فقط، لهذا أتجاهله.

أشارت عليّ إحدى صديقاتي بأن أعمل، فالعمل - كما تقول - يجدد من نفسية المرأة ويجعلها تشعر بثقة أكثر بنفسها، بالإضافة لحصولها على راتب شخصي يجعلها تشعر براحة أكبر حين تشتري لنفسها ما تريد، ترددت كثيراً لأني لا أظن أن أحداً سيتحمل أطفالي لمدة ثماني ساعات يومياً، ولكن وبكل بساطة قالت لي أن ألحقهم بالحضانة وهكذا سأكون مطمئنة.

وافق زوجي بعد القليل من الإقناع، وبدأتُ أبحث عن عمل بشهادة الثانوية العامة، وبعد أشهر من المقابلات الفاشلة في مختلف الشركات، قُبلت للعمل كسكرتيرة في شركة (الرؤية)، ومن يومها تغيرت حياتي.

أصبح الوقت الذي أقضيه في الدوام هو متنفسي الوحيد، أقضي معظم وقتي في تكوين علاقات جديدة مع فتيات وشبان جدد، نتحدث عن أمور الحياة المختلفة، أتعلم منهم الأماكن التي يجب أن أزورها، المطاعم التي يجب عليّ تجربتها، الأفلام التي عليّ أن أشاهدها، أصبحتُ أكثر اطلاعاً، وأكثر أناقة، أشتري آخر صيحات الموضة من الملابس والعباءات والمكياج، أصبحت أذهب إلى مراكز التجميل أكثر لأعتني ببشرتي ومظهري، حتى زوجي اختلفت علاقتي معه، وأصبح يقضي وقتاً أطول في المنزل.

أما الأسفار فكانت تأتي حين يلعب الحظ معي لعبته، فحين يختارني مديري من ضمن المجموعة التي تمثل الشركة في المعارض والمؤتمرات، تكون لي حجة كافية لأترك الأطفال وزوجي لأسافر وحدي لأستمتع في بلد جديد وأعيش حياة العزوبية بدون مسؤولية ولا أطفال ولا طلبات، وما يزيد إقناع زوجي هي العلاوات التي كانت تصرف للمشاركين في مثل هذه المهام.

بالرغم من أني كنت مجرد سكرتيرة في قسم العلاقات العامة، كان اسمي يُرشح ضمن المشاركين في معظم المعارض، لأني كنت على علاقة جيدة جداً مع مديري، الذي يعلم أني سأسهل له الكثير من الصفقات بسبب قدرتي العالية على الإقناع وجذب الزوار ليستمعوا إليّ.

نهضت من نومي وبدأت بتجهيز نفسي لأول يوم من أيام المعرض، تفاجأت أن مريم لم تكن في الغرفة، بالرغم من أن الوقت مازال مبكراً، بدأت بالتفتيش عن أدوات مكياجي وتفاجأت أني نسيت ظلال الأعين، كدت أفقد صوابي، فاليوم الأول هو الأهم وأكثر الأيام التي تلتقط فيها الصور والمقابلات، كيف سأذهب بدون ظلال عيون؟! أخرجت كل ما في الحقيبة على أمل أن أجده ولكن دون جدوى، عادت مريم إلى الغرفة وأنا في قمة توتري.

- ما الذي حدث هنا يا حنان؟!

- نسيت ظلال الأعين!! هل تصدقين!!

لم تبالِ بما قلته ثم اتجهت نحو خزانة الملابس. أعرف أنها لا تهتم لمثل هذه التفاصيل؛ فهي لا تضع حتى كحلاً، تجعلني أشعر بأن جمالها أوروبي، بالرغم من أنها متوسطة الجمال، وتكاد تكون أقل من ذلك.

- أين كنتِ؟ استيقظت من النوم ولم أجدك!!

قالت وهي تُخرج ملابسها من الخزانة وأنا أرى لون كل قطعة أغمق من الأخرى

- ذهبت في جولة في المدينة.. المكان هنا رائع.

ثم دَخَلت غرفة تبديل الملابس.

- ذهبتِ وحدك؟؟

- نعم ما المانع؟!!

- لا تفعليها مجدداً، لقد وعدت أمكِ أني سأهتم بكِ حين أوصتني عليكِ في المطار هل نسيتي؟، اسمعي لا أستطيع النزول بدون مكياج، سأذهب للمجمع التجاري وأشتري بعض الأغراض، سأحاول أن لا أتأخر، ولكن لا تخبري أحداً، بالذات سيف، لا أريده أن يعطيني محاضرة في الالتزام الوظيفي، سأعود بأسرع وقت ممكن!

ارتدت مريم الزي الذي ستظهر به أمام جموع الحاضرين والزوار، جاكيت أسود طويل إلى الركبة، غطاء رأس بني قاتم، وحذاء أسود يشبه أحذية المُدرسات أو الممرضات، ألم يعلِمها أحد كيف ترتدي ملابس أكثر حيوية وأنثوية؟! إنها تبدو أكبر مني بسنوات، وأنا أعلم أننا قريبتان جداً في العمر.

- أهذا ما سترتدينه؟! سألتُها أملاً مني أن الإجابة ستكون لا.

- نعم، ما رأيك ؟ هل تظنين أنه مناسب؟

- ماذا عن وجهك؟ لا أراك تضعين أي شيء؟؟ يا مريم الرجال تهمهم المظاهر، يحبون أن يروا الفتاة بكامل حُلتها، وإلا لا أمل لكِ في أن يعجب بك أي أحد، استغلي هذه الفعاليات، ستقابلين المئات من الأشخاص المهمين ذوي المناصب العالية، إنها فرصة لن تعوض، أعيريها اهتماماً أكثر.

- من قال لكِ إني أبحث عن أحد ليعجب بي، نحن هنا للعمل يا حنان، وليس للتعارف وتكوين الصداقات، ولكن حتى تطمأني.. انظري! وضعت القليل من المسكارا ألا ترينها!! ومرطب شفاه أيضاً.

لم أعد أحتمل أكثر..

- كلا لا أراه يا مريم،إنه غير مرئي.. حبيبتي، سأتفاهم معكِ بعد أن أعود.. كما قُلت لكِ، لا تخبري أحداً.

"مريم"

حين اقتربتُ من قاعة الفندق المخصصة للمؤتمر، تذكرت سيف والعبّارة والجولة. كيف سأقابله من جديد؟ هل سأعرفه هذه المرة؟ أم سأحرج نفسي للمرة الثانية؟! ماذا يقول عني في نفسه يا تُرى؟! هل يراني فتاة سهلة تكلم كل من اقترب منها؟ وتخرج في جولة في مدينة غريبة مع رجلٍ لا تعرف عنه شيئاً؟ أم يا تُرى هو يرى فيّ شيئاً جميلاً لا أراه في نفسي؟ أم ربما لا يرى إلا طفلة ضائعة في بلد غريب فيحاول الاعتناء بي؟ لا، لا أستطيع أن أقابله من جديد.. بقيت واقفة بعيداً عن بوابة القاعة خشية أن أراه هناك وأنا غير مستعدة.

- نحن نتوقع أن يكون العارضون أول الحاضرين ولا يتأخرون.

سمعتُ صوته من خلفي، لا أدري لمَ يتعمد إرباكي وإشعاري بأني أوَبخ كطالبة في الابتدائية؟! نظرتُ إليه وقد بدا مختلفاً عن ما كان عليه قبل ساعات، شعره مصفف بدقة ويلبس بدلةً رسمية تجعله يبدو أحد أبطال الأفلام السينمائية، أو يقف على السجادة الحمراء، يبدو مختلفاً عن اللباس الرياضي الذي كان يرتديه قبل ساعة.

حين اقترب أكثر كاد يُغمى عليّ من قوة رائحة العطر الذي يرتديه، يبدو نظيفاً جداً، أكاد أرى نجوماً تتطاير من حوله من شدة لمعانه! حاولت إبعاد نظري عنه حتى لا يلاحظ ارتباكي بقربه.

- هيا، لا نريد أن نتأخر.. تبدين مرتبكة أكثر من اللازم.

قال لي وهو يمشي باتجاه القاعة وأنا خلفه، بطّأ خطواته لأستطيع اللحاق به، ثم أكمل كلامه.

- سيكون هناك الكثير من الضيوف، ستتعرفين على العديد من الشخصيات المهمة وستبنين علاقات عمل جديدة، إنها تجربة ممتعة ومختلفة، استغليها واستمتعي بها.

يكلمني بحماس ويجعلني أشعر وكأنه يحملني عالياً من قاع التوتر.

- أتمنى ذلك، أنا متفائلة.

دخلنا القاعة واقتربنا من المكان المخصص لشركتنا، كان الجميع في أوج استعدادهم، هناك من يتأكد من الصوت وشاشات العرض، وآخر يعيد ترتيب الكراسي لتناسب زوايا التصوير، والمصورون يأخذون مواقعهم ويتأكدون من معداتهم وكاميراتهم.

- هاا.. جميل أليس كذلك؟...أعجبك..؟!!

يقول لي وأنا أنظر حولي بانبهار شديد، أشار إلى إحدى الطاولات التي عليها الكثير من المنشورات الخاصة بشركتنا.

- ستكونين هنا مع زملائك لتجيبوا على الأسئلة الخاصة بما تقدمه الشركة من عروض وخدمات خاصة بتكنولوجيا المعلومات، وستقدمون المنشورات لمن يريد الاطلاع على المزيد، سأكون أنا ومن معي من المعدّين في الجوار وسنهتم بالتغطية الإعلامية وما إلى ذلك، سيكون كل شيء على ما يرام.

ثم قاطعنا أحد العمّال ليسأله عن شيء ما، أجابه سيف ثم عاد لينظر إليّ.

- لا تقلق عليّ، أنا بخير.

جلست على أحد الكراسي.

- اذهب إن كان عليك الذهاب، سأكون بخير هنا.

- أضجرتِ مني بهذه السرعة؟

ورسم على وجهه علامات حزن طفولية..

- لاا!! لا أقصد صدقني، لكن أظن أن لديك الكثير لتفعله.

- حسناً.. حسنًا، سأذهب وأتفقد الأمور ثم سأعود إليك، أين هي حنان؟ ألن تأتي؟

ضحكتُ حين تذكرت حالة حنان الهستيرية.

- كلا، ستتأخر قليلاً، لديها حاله طارئة.

- حقًا! أهي بخير؟ إن كانت تحتاج أي عناية طبية، يوجد مركز صحي صغير في الفندق للحالات الطارئة.

ضحكت أكثر.

- لا .. لا تحتاج إلى شيء مهم.. لا تقلق.

ضحك أكثر معي، وهزّ رأسه ساخراً " فتيات" وغمز لي الغمزة ذاتها، وذهب.

آه كم هو جذاب، بقيت أنظر إليه عن بعد وهو يعطي الأوامر يميناً ويساراً، والجميع من حوله يلبي طلباته دون كلل أو ملل. لم أعرف منصبه بالتحديد إلى الآن وماذا يعمل؟ ولكني

بدأت أشعر بأن منصبه مهم في الشركة، سيف؟ لم أعرف حتى سيف ماذا، ما اسم عائلته؟؟ سأسأل حنان عنه، فهي تعمل في القسم ذاته، أما أنا فكل ما عرفته عنه هذا الصباح هو محبته لتركيا ومدى معرفته بها.

بدأ الضيوف بالتوافد، جنسيات مختلفة، مناصب مختلفة، واهتمامات مختلفة، يسألون وأشرح لهم عن الشركة، وأعرض ما يريدون معرفته، الضيف تلو الضيف، كنت في بداية الأمر متوترة جداً، فأنا لم اعتد على الكلام مع العديد من الشخصيات بهذه الطريقة، طبيعة عملي جعلتني انطوائية إلى حدٍ ما، لا أتعامل إلاّ مع أجهزة الحاسوب فقط ولا شيء غيرها، وحتى أني لم أطلب أن أكون هنا ضمن المشاركين في فعالية ضخمة كهذه، ولكن مديري أصر أن أذهب، لأن الشركة بحاجة لوجوه جديدة من الموظفين المتميزين، وقد رشحني حين اعتذرت زميلة لي اعتادت أن تشارك في مثل هذه الفعاليات في قسمنا، وكان ذلك شرفاً كبيراً لي.

أخذت قسطًا من الراحة بعدما جاءت حنان أخيراً لتنوب عني، أراها قد أكسبت عينيها ظلالاً جعلتها تبدو كالممثلات الخليجيات في المسلسلات الرمضانية ثم وقفت مكاني بكل ثقة، بكعبها العالي، وقميصها المخطط بالذهبي وخصلات شعرها الذهبية وشفتيها الحمراوين، لقد أكسبت المكان إضاءة جديدة، وكأنها مغناطيس لجميع المارين بجانب زاوية الشركة.

أمـا أنـا، فذهبـت لأبحـث عـن مـكان يبيـع قهـوة وأي شـيء يـؤكل، ووجدتُ أن هنـاك زاويـة بهـا جميع أنواع المشـروبات، وبعض المعجنـات الخاصـة بالعارضيـن.

أخـذت قهـوة تركيـة، وقطعـة كرواسـون وجلسـتُ بعيـداً آكل بهدوء وأتفقد هاتفي، رسائل من إخوتي يعلقون على ما أرسلته لهم مـن صـور، وطلبـات الهدايـا التـي لا تنتهـي، ومكالمتـان فائتتـان مـن وليد!! آاااه لم أجبه منذ وصولي إلى هنا.

"وليد"

- حاول أن تتصل مرة أخرى، وإلا اتصلتُ أنا!!

- يا أمي، يا حبيبتي، من المؤكد أنها مشغولة الآن.. ستعاود الاتصال بي بالتأكيد حين ترى المكالمات الفائتة.

قلت لأمي في محاولات فاشلة أن تتركني أنهي المكالمة وأعود لأصدقائي، أُقدر جداً أن مريم لديها عمل مهم وإلا كانت عاودت الاتصال بي حين رأت مكالمتي.

مريم ابنة خالتي وخطيبتي منذ الصغر، كبرنا وتربينا معاً، أمي وخالتي كانوا قد رسموا حياتي معها وكأنها حياتهم، منذ اليوم الذي وُلدتُ وإياها نفسه فيه، يقولون إن القدر لابد وأن يجمعنا في منزل واحد ونكمل حياتنا معاً، ولهذا فإننا ومنذ وُلدنا نسمع أن وليد لمريم ومريم لوليد.

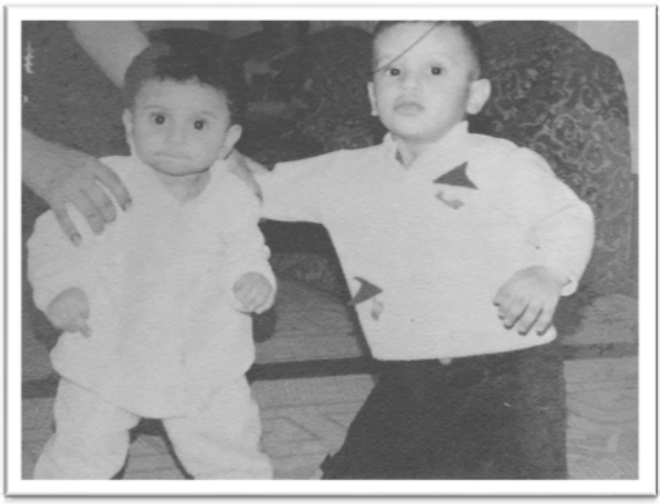

كبرتُ وكبُرَت مريم وتحولت من طفلة كانت تركض وتلعب معي في الحارة، إلى فتاة جميلة وخجولة تشعر وكأنك ربما ستكسرها من رقتها.

لم أحب الدراسة يوماً وكنت على حافة الرسوب في جميع سنوات المرحلة الثانوية، كان ذلك بسبب شلة الأنس التي تعرفتُ عليها في تلك الفترة، والتي فتحت أمامي جميع أبواب الفساد التي من الممكن أن تُفتح أمام مراهق، دخنتُ السجائر، هربت من المدرسة، طُردتُ من المدرسة، تعرفت على فتيات لا أذكر أياً منهن الآن، و فعلتُ أشياءً لا أستطيع حتى أن أذكرها. بعد أن تخرجتُ أنا ومريم من المرحلة الثانوية، أخبرتُ أمي أني أريد أن أتزوج؛ ليس لأني أردتُ ذلك فعلاً، ولكني لم أرد أن أكون مختلفاً عن أصدقائي في ذلك الوقت.

رحّب أبي وأمي بالفكرة أملاً منهما أن مريم ستكون السبب في صلاحي وهدايتي إلى الطريق الصحيح، ولكن رفضت مريم الزواج بحجة أنها مازالت صغيرة، وأنها تريد إكمال دراستها الجامعية. أحببت اهتمامها بالدراسة، وشعرت بالغيرة منها في ذلك الوقت بالذات، والتحقتُ أنا بدوري بالكلية لأثبت لمريم أني أيضاً لديّ طموح وأهداف لترضى بي زوجاً في النهاية.

كنتُ أضحك على نفسي بذلك الكلام، فأنا ما زلت أنا، لم أتغير، لم أهتم يوماً بالدراسة ولا بماذا أريد أن أكون، كنت أعلم أنه سينتهي بي المطاف ألتحق بالقوات المسلحة مثل أبي، ولكني أردت الاستمتاع بوقتي قبل قرار ارتباطي بعمل رسمي ووظيفة تقيد تحركاتي، وبما أن أبي كان بالنسبة لي كالنهر الجاري الذي أغرف منه كلما احتجت أي شيء، لم أشعر بالفعل أني بحاجة للعمل.

تنقلت من كلية إلى أخرى، تعرفت على أصدقاء جدد فتحوا أمامي آفاقاً جديدة، سافرت معهم نصف بقاع الأرض، زرت مدناً جديدة، أقنعوني بأني لن أحصل على هذه المتعة حين أتزوج وأنجب أطفالاً وتتضخم المسؤوليات أمامي، فعلَيّ الأن أن أعيشَ حياتي وأجرب كل ما أستطيع تجربته قبل أن أرتبط بإنسانة واحدة بقية حياتي.

أقنعتني طريقة تفكيرهم، وأعجبني أسلوب حياتهم، أصبحوا أصدقائي المقربين وهم كذلك حتى الآن. أنهت مريم دراستها الجامعية، وجاءتني أمي تُذكرني بأنه علينا التقدم مرة أخرى ونطلب يدها للزواج، وقد تخرجت في الجامعة، ولكني لم أكن مستعداً بعد، قلت لأمي أني أريد أن أعمل أولاً قبل التقدم لها، فطلبتُ من والدي تدبير عمل لي وكما توقعت، التحقت بالقَوات المسلحة في النهاية.

ما أعجبني هناك أن لا أحد ينظر لمعدلك في الثانوية، أو ما إذا كان لديك شهادة جامعية أم لا، بل معيار نجاحك هو مقدار رجولتك وشجاعتك ومقدرتك في إثبات نفسك، هكذا أقنعني أبي، وكان محقاً إلى حد ما، استطعت في وقت قصير إثبات نفسي في المكان، وكان الجميع هناك يقول لي إن "هذا الشبل من ذاك الأسد" فأشعر بالفخر أمام أبي وبقية أفراد العائلة.

لم أتقدم لمريم بشكل رسمي إلى الآن، ولكننا نعتبر في حكم المخطوبين، أسمع من أمي دائماً أنه لم يتقدم أحد مناسب أفضل مني لمريم ،فأفهم أني ما زلت أفضل خياراتها، وفي الحقيقة، لم أكن أرى فيها أي عيبٍ يمنعني من الارتباط بها.

كنت في قرارة نفسي أريد لهذه المرحلة من حياتي أن تستمر أطول وقتٍ ممكن قبل أن أدخل عش الزوجية، وفرحتُ جداً حين تقدمت لمريم وقالت لي إنها قُبلت في وظيفة جديدة مرموقة، ولا تستطيع أن تتزوج قريباً فهي لا تستطيع تقديم إجازة لأنها موظفة جديدة.

تفهمت وضعها، وقلت لها أن تستمر في وظيفتها ولا تجعل الزواج يعرقل ما تعبت واجتهدت لأجله، وأنا بدوري أخذتُ حقيبة سفري وانطلقت في جولة بين جزر آسيا، ولم أعد إلى البلاد إلا بعد شهرين فعلتُ فيهما ما لا يجب ذكره!!

مريم حالياً في رحلة عمل، سافرت وحدها بالرغم من رفضي لمبدأ أن تسافر فتاة وحدها مع مجموعة رجال لا تعرفهم، ولكنها ليست زوجتي بعد، وليس لي حكم عليها بعد كما تقول أمي "حين تتزوجها.. ارفض كما تشاء، أما الآن فلا دخل لك" وبالتالي تمنيتُ لها التوفيق وطلبتُ منها أن تطمأنني حين تصل، أوصلتُها إلى المطار مع أمي وخالتي، وتمنّيتُ لها رحلة ممتعة وموفقة، وبعد غمزات ونغزات من أمي قلتُ لها إني سأشتاق لها وأني أتمنى لو كنت أستطيع السفر معها، استقبلت كلامي بابتسامة خجلة كعادتها وسارت في رحلتها، وانطلقتُ أنا في رحلة مع مجموعة شباب.

اتصلتُ بمريم مرتين لأنه لم يصلني منها أي رسالة منها تخبرني أنها وصلت سالمة، ولكن أمي لم تقتنع بالعدد، وتظن أنه يجب عليّ أن أتصل ثلاث وأربع مرات؛ لترى مريم مدى اهتمامي بها وتقول " هذا ما تحبه الفتيات".

"سيف"

لم أتوقع أن تقف تلك الفتاة الخجولة المتوترة بهذه الثقة أمام جموع الحاضرين، تتكلم وتشرح عن الشركة وكأنها قد وقفت في هذا المكان عشرات المرات، كنت أراقبها عن بُعد، وهي تتولى المهمة على أكمل وجه بعدما تركتها زميلتها وحدها لسبب لم أفهمه إلى الآن.

كم يعجبني الالتزام بالمواعيد والمهام، وكم أكره الاستهتار في المهمات الرسمية كهذه. كنتُ من المعارضين لاختيار حنان ضمن فئة المرشحين، ولكن مديرنا أصر للمرة الثالثة أن تكون ضمن المجموعة، حين أخبرته عن تجربتي معها في المرات السابقة، وكيف أنها لا تلتزم بالمواعيد وبالمهمة التي ذهبت من أجلها، وأنه من غير العدل أن نُفضّلها على غيرها من الموظفين الأكثر كفاءة، شرح لي المدير أن السبب الرئيسي لاختيار حنان لم يكن تميزها في عملها فهي مجرد سكرتيرة في قسمنا، ولكن تميزها في مظهرها ومكياجها ودلعها في صوتها، يجذب الكثير من الضيوف فقط ليحصلوا على فرصة للتحدث معها في البداية، وبالتالي نستطيع نحن القبض عليهم وإخبارهم عن الشركة وإقناعهم بشراء خدماتنا.

هكذا هي هذه المعارض، تعتمد اعتماداً كبيراً على الدعاية، الجذب، واكتساب الفرص، ولكن لا أظن أن تلك النظرية تنطبق على مريم،فمظهرها البسيط والرسمي يجعلها تختفي وسط الزحام بكل سهولة وبالنسبة لي، كان ذلك بالضبط ما جذبني إليها.

أفضل دائماً البساطة في المظهر، تماماً كالتركيات اللواتي ترى الواحدة منهنّ بدون صبغات ولا مبالغة في اللباس والعطور، ولكنها في المقابل تكون في منتهى الجاذبية والأناقة.

كم أتمنى لو أن نادية تفهم ذلك في، وفي اللحظة التي جاء اسمها في بالي رن هاتفي، أخذتُه وحاولتُ الابتعاد إلى زاوية هادئة.

- مرحباً نادية..
- أهلاً سيف.. كيف حالك؟
- بخير.. هل اشتقتِ إليّ؟
- بالطبع.

وقبل أن أحاول أن أعبر لها عن شوقي لها، أو اهتمامي باتصالها، انهالت عليّ:

- سيف اسمعني، يجب أن تخبر أمك أن أمي لا تزال تصر على الزهور البيضاء في حفل الزفاف، وتسألها ما إذا كانت ستُحضر هي العطور ودهن العود أم علينا نحن إحضاره؟ وعدد

الضيوف، اسمعني يا سيف، لا نستطيع أن نعزم ٣٠٠ فقط، معارف أمي وأصدقاؤها كثر، لذلك أخبر أمك أننا سنعزم على الأقل ٤٠٠ وأنتم اعزموا الباقي.

كنتُ مصدوماً بكل ما أسمع، لا أهتم بكل تلك التفاصيل التي ترصُها نادية على مسامعي، وكأنها مسألة حياة أو موت، هي لم تلتقط أنفاسها حتى.

عُقد قراني على نادية قبل ثلاثة أشهر، لم أعرفها من قبل، لم أكلمها، ولم أرها الاّ في يوم عقد القران، لأن والدها وأخوَاها كانوا متشددين لأبعد حد، ولا يقبلون ظهور ابنتهم على أحد قبل عقد القران، وبسبب أمي ومدحها وإعجابها الشديد بها، وثقت برأيها وأكملت الموضوع وكلي أمل أني سأتعرف عليها بعد عقد القران، وسأرى فيها الإنسانة الرائعة التي أعجبت أمي.

بالرغم من أن نادية هي ابنة جارة أمي العزيزة منذ زمن، إلا أني لا أذكر أني رأيتها أبداً بعد أن كبرت، تقول لي أمي لقد كنا أنا وأختيْ وهي وإخوتها نلعب معاً حين كنا صغاراً، ولكننا افترقنا بعد أن كبرنا ومنعها والدها من أن تلعب في الخارج لأنها كبرت. حاولت تذكر ذلك كثيراً ولكن دون جدوى، أظن أن سنوات دراستي في إسطنبول كانت قد محت جزءاً كبيراً من ذاكرتي!!

في الحقيقة، نادية كانت جميلة لدرجة أذهلتني في أول يوم رأيتها فيه، ملامحها، ابتسامتها، رقتها وسمار بشرتها تشبه الممثلات الهنديات، كنت قد دعوت الله أن تكون جميلة أو مقبولة الشكل على الأقل، واستجاب الله دعوتي وكانت أجمل من الوصف بكثير.

تمنيتُ أن تكونَ شخصيتها بجمال ملامحها ولكني، إلى الآن، لم أستطع أن أتعرف عليها لأفهمها أكثر، فنادية لا تتحدث إلا عن حفل الزفاف، وتجهيزاته، وفستانها، وتفاصيل شهر العسل، حتى ظننت أنها تريد الزواج حتى تحظى بحفلة زفاف لا بزوج مستقبلي!!

حتى الآن، وأنا أبعد عنها آلاف الكيلومترات، تمنيتُ لو أنها أظهرت لي القليل من الاهتمام والشوق الذي أتوقعه من فتاة لخطيبها، ولكنها لم تفعل.

- نادية، إن حفل الزفاف من المفترض أن يكون في ديسمبر، ونحن ما زلنا في إبريل، اهدئي قليلاً.

- أنا لست مجنونة يا سيف، أحب فقط أن أكون على أتم الاستعداد.

- سيكون حفل الزفاف جميلاً، وسيكون فستانك أجمل، لا تقلقي، لا داع لكل تلك الأزمة التي تفتعلينها.

حاولتً تهدئتها ولكني كلما فعلت ذلك، ازداد غضبها أكثر.

- أنتم الرجال لا تفهمون ما نعانيه نحن الفتيات، هناك الكثير يجب إنجازه وأنت لا تكترث أبداً.

بدأت أشك في نفسي، فأمي ونادية يرددان الكلام ذاته، هل حفل الزفاف أهم ما في الزواج حقاً؟ لمَ لا أستطيع رؤية ذلك؟! هل هو كما تقول نادية، أمر رجل وامرأة؟ أم هو اختلاف في الاهتمامات؟ ألا يجب على الاثنين اللذين من المفترض أن يعيشان بقية حياتهما معاً أن تكون اهتماماتهما متشابهة على الأقل؟ أو على الأقل يقضيان فترة الخطوبة القصيرة هذه في التعرف على بعضهما بدلاً من الكلام عن ليلة واحدة تنتهي بعد أربع أو خمس ساعات؟

تقول لي أمي "كل الفتيات يا بني يحلمنَ بهذا اليوم، فلا تكسر بخاطرها هي فقط متحمسة كأي فتاة" لذلك أحاول أن أستمع لها، لعلي أفهم.

أخذت نفساً عميقاً وقلت لها.

- حسناً، سأخبر أمي بكل ما تريدين، أخبريني عن أحوالك أنت، ما الجديد؟

- لا جديد، ماذا تريد مني أن أخبرك، أخبرتُ جميع زميلاتي اليوم عن موعد الزفاف، وأين قررنا أن يكون، ليتك كنت هنا ورأيت نظرات الفتيات الحاسدات، آاااااه شعرت بسعادة تملأ قلبي.

كان لا فائدة من ذلك الحديث "هي متحمسة كأية فتاة" كنت أردد كلمات أمي.

- نادية حبيبتي، عليّ أن أذهب.

- حسناً.. لا تنس أن تخبر أمك.. أرجوووك سيف.

- سأفعل.

كم كانت مكالمة محبطة، لا أمل فيها، لا أراني أتقدم خطوة في العلاقة لأعرف المزيد عن شخصية نادية، أو حتى أتعلق بها أو أحبها، الغريب أني أشعر وكأني أعود إلى الوراء، ونادية بالنسبة لي تتحول كل يوم إلى شيء مجهول لا أعرف عنه شيئاً.

تأخرتُ في زواجي لأنه كان مهماً جداً بالنسبة لي أن الفتاة التي سأرتبط معها بقية حياتي تشاركني الاهتمامات ذاتها، كنت أتمنى دائماً أن تكون لي صديقة قبل أن تكون زوجة.

مجال عملي يجبرني على الاختلاط بالفتيات من مختلف الشخصيات، وتعرضتُ لمحاولات الكثيرات منهنّ في التقرب وفرض أنفسهنّ عليّ حتى أن إحداهنّ تجرأت وطلبت مني أن أتزوجها بكل صراحة وبدون أية قطرة حياء!! لهذا السبب للأسف، لم أفكر في أي منهنّ أن تكون لي زوجة، بالرغم من العلاقات الودية الطيبة التي تربطني بهنّ، كنّ جميعهنّ متشابهات بالنسبة لي، ولم تلفت نظري أية زميلة من قبل كما فعلت مريم اليوم.

طلبت قهوتي لأعدل مزاجي، أردت الخروج من القاعة ولكني لم أستطع أن أترك المكان، وقفت أنظر للمعرض عن بعد، سقط نظري على مريم وهي تختار من قائمة المعجنات، وفكرت "هل تراها تلحق بي، أم تحاول لفت نظري بالوجود في المكان الذي أكون فيه؟!" ..

وقفت أراقبها عن بُعد وكدت أقع ضاحكاً حين رأيتها تضع حذاءها جانباً تحت الطاولة، والمعاناة تعلو ملامح وجهها، لا أدري لماذا تعذب الفتيات أنفسهن بلبس هذه الأحذية المتعبة؟!

" نادية"

- مابكِ يا ابنتي، لا أراكِ على ما يرام؟

- تعبتُ يا أمي، أشعر بأني أجهز وأرتب كل شيء لحفل الزفاف وسيف لا يكترث لشيء، لم أعد أحتمل كل تلك المسؤولية.

- لا بأس هل تكلمتِ معه بالأمر؟

- نعم ودون فائدة، كل ما يهمه هو سفراته وعمله فقط، أشعر أنه لا يحبني يا أمي.

- الحب يأتي بعد الزواج يا ابنتي، خُذيها مني نصيحة، كلما أشعرتِ الرجل بأنه أقل اهتماماتك، كلما اقترب منك أكثر، الرجل لا يحب الفتاة التي تشعره بأنها يائسة، تنتظر منه كلمة حب أو إعجاب، يحب دائماً الفتاة الواثقة، لهذا عليك أن لا تعيريه اهتمامك، وستري كيف أنه سيتقرب منك أكثر وأكثر وسيشعر بأنك غالية جداً، تذكري أن سيف رجل جيد، ولا نريد أن نخسره، فأين تجدين رجلاً يخطب فتاه قد طلقها غيره، هل فهمتي؟

- فهمت

بالرغم من غرابة نصائح أمي إلا أني كنت أفهم ما تقول، ولكن قلبي لم يستطع أن يقتنع، كنت بالفعل أشعر بضغط شديد بسبب كل ما أتحمله من مسؤولية التجهيز لحفل الزفاف، لأني أريده أن يكون أسطورياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ليعرف ذلك السالم أنه خسر الكثير، وأني لم أبقَ في مكاني أبكي الأطلال بعدما قرر الانفصال عني.

لا أنكر أنه في أعماقي أتخيل سيف هو سالم وأني أُجهز لعرسي معه، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، لقد تركني سالم بعد عقد قراننا بعشرة أشهر، عرفتني عليه إحدى زميلاتي التي تعمل معي في المدرسة، طلبت مني رقم هاتفي حتى يستطيع أن يتعرف عليّ قبل الارتباط، وافقت لأني أعرف أن أبي لن يسمح لي حتى بأن أراه قبل الزواج، وبالفعل تعرفت عليه، كنت أقضي معه ساعات نتبادل الرسائل الغرامية حتى وقعت في شباك حبه، ألح عليّ كثيراً للخروج معاً دون علم أحد، ولكني رفضت، وطلبت منه أن يتقدم لي بشكل رسمي ويطلبني من أبي. لم يتردد سالم وبالفعل جاء مع والدته وتقدم لي رسمياً، كان كلّ شيء يسير معه وكأنه حلم، كنا فيه كطيور المحبة في الأشهر الأولى، نخرج سوياً وحدنا دون علم أحد، نتحدث على الهاتف لساعات طويلة، نتبادل الهدايا الباهظة الثمن، كنت معه أعيش قصة حب كتلك التي أقرأ عنها في الروايات بعيداً عن أنظار أبي وتشدده في هذا الموضوع بالذات، وعندما كانت أمي تطلب مني أن أسأله عن موعد الزواج، كان يقنعني بأن هذه الفترة من حياتنا لن تتكرر، فعليها أن تدوم أطول وقت ممكن حتى نتعرف على بعضنا أكثر قبل أن نتزوج. "دعينا نعش وكأننا حبيبان وليس زوجان.. كما في الأفلام الأجنبية".

كان يغريني بكلامه فأتبعه وكأنني عمياء لا رأي لي إلا رأيه، وبعد أن طالت مدة عقد القران دون موعد محدد للزفاف، أصيبت علاقتنا بالفتور، وفقد سالم اهتمامه بي دون أن يشعر،

بل وأصبح يدقق على أتفه الأسباب ليفتعل مشاكل لا أساس لها، مثل طريقة كلامي معه، طريقة ارتدائي لملابسي، تبرجي وطريقة مشيي.

تصاعدت المشاكل بيننا إلى أن قرر وحده أنه لا يمكنه الارتباط بي، وأنه يظن أني لا أصلح له زوجة، ويخاف أن أفعل من دون علمه ما فعلته دون علم أبي، أرسل لي قراره في رسالة نصية، دون أسباب، دون تبرير، ودون أي مجال لي للدفاع عن نفسي.

كتمت ألمي بداخلي ولم أبحه لأحد، أخبرت أمي أننا لم نتفق فقط دون أية تفاصيل، وأنه ربما كان ذلك جواباً لاستخارتي، لم أخبرها بألمي وجرحي، لم أخبر أحداً أني أحببته ولكنه خذلني، لأن أحداً لم يكن يعرف بأي شيء.

قالت أمي "لا تقلقي يا ابنتي سيأتي من هو أفضل منه" ظننت أن الأمر سيمضي بهدوء كهدوء أمي، ولكني حين طلبت من سالم عبر رسالة نصية، أني فقط أريد منه أن لا يخبر أحداً أن القرار كان قراره، وليكون انفصالنا بهدوء، ظننت أنه سيفعل ذلك، تقديراً لأيامنا الجميلة على الأقل، ولكنه في المقابل أخبر الجميع بمن فيهم أبي وإخوتي أنه هو من قرر الانفصال، وأنه شعر بأني لا أصلح زوجة له ولا أن أكون أماً لأولاده، لأني "منفتحة" أكثر من اللازم، أخبرهم عن مغامراتنا السرية، ومحتوى الرسائل التي بيني وبينه، أخبرهم عن كل شيء ليظهرني بأسوأ صورة ويبرر فعلته.

انقلب بيتنا رأساً على عقب، وتلقيت من أبي وإخوتي ما كفاني من الصفعات والإهانات، بالرغم من أن ما فعلته لم يكن حراماً فقد كان زوجي على الورق، ولكن الأمر لم يكن كذلك عند أبي، هو مقتنع تماماً أنه لا يجب أن يجمع بين الرجل و المرأة أي علاقة إلا حين يكونا تحت سقف بيتٍ واحد، كنت ضده طوال سنين حياتي، ولكن بعد ما فعله سالم، فهمت ما كان يقصد واقتنعت بكلامه.

لم يكتف سالم بذلك، ولكنه أخبر صديقتي بأمرنا، وهي بدورها أخبرت جميع الزميلات، وأصبحتُ القصة التي يتسلين بها أثناء تناول الإفطار، وبعد شهر واحد، تزوج سالم من فتاة قروية من اختيار والدته، فتاة لم تكمل حتى تعليمها الإعدادي، وليكمل تعذيبي، أرسل لي بطاقة دعوة مع صديقتي!!

كنت في حالة لا يعلم بها إلا الله.. حتى أني وصلت لمرحلة كنت فيها على وشك تقديم استقالتي من العمل، فلم أعد أحتمل نظرات من حولي ممن يعرفون قصتي معه، ولكن كل ذلك كان في الماضي، لقد مرّ على ذلك أكثر من سنة تقريباً.

حتى تقدم لخطبتي سيف ابن الخالة صفية، جارتنا وصديقة أمي منذ أن كانتا في عمر الشباب، كنا نلعب معه ومع أختيه حين كنا أطفالاً، ولكن بعد أن كبرنا، ابتعدنا عن بعضنا

لأسباب جميعنا يجهلها، ربما كان بسبب أن أمي لم تزوج بنتيّ الخالة صفية، سارة أو نجوى، لأي من إخويّ وفضلت أن تخطب لهما فتاتين أخريين، لأن ذلك الحدث كان آخر ما أتذكره قبل أن تفتر العلاقة بين الجارتين، حتى وبعد أن تزوجت سارة ونجوى وأنجبت كل منهما أطفالاً، ظل ذلك الكسر لم ينجبر.

أما بعد أن تطلقتُ، ورفض الكثيرون التقدم لي بسبب طلاقي، خافت أمي عليّ من العنوسة، وجاءتني تستشيرني في أن تكلم الخالة صفية، وتطلب منها أن يتزوجني سيف بما أنه لم يتزوج إلى الآن.

ترددتُ كثيراً وشعرتُ بالإهانة في بادئ الأمر، ولكن حين أقنعتني أمي بأنه رجل جيد وأنها متأكدة أن الخالة صفية لن ترفض طلباً كهذا، قلت في خاطري لمَ لا؟ لمَ لا أتزوج سيف؟ كانت الخطة موفقة، وجاءت والدة سيف وتقدمت لخطبتي، وانكسر الحاجز بين الجارتين، وشعرت أمي بالجميل العظيم الذي قدمته لنا الخالة صفية. بما أننا كنا نعرف سيف وأهله وأصلهم وفصلهم، طلبت أمي من أبي أن ينهي الموضوع سريعاً، ولا يضيّع الوقت بالسؤال عنهم كما كان بفعل مع بقية العرسان، وأن يتمم عقد القران سريعاً قبل أن يغير سيف وأمه رأيهما.

أما أنا، فلم أفكر كثيراً في مواصفات سيف، ولم أكترث لأصر أن أراه أو يراني قبل عقد القران، كانت لدي صورة له في مخيلتي منذ كنا صغاراً وكان ذلك كافياً بالنسبة لي، كل ما كنت أريده فقط أن أقول إنني تزوجت بعد سالم، وأنني أجهز لعرس فخم وأعزم جميع زميلاتي ليعرفن أني لم أخسر شيئاً.

كان الجرح الذي تسبب لي به سالم أكبر مما توقعت، قررت أن لا أمنح سيف أي حب أو رومانسية قبل الزواج، تلك كانت نصيحة أمي، فالرجال جميعهم يشبهون بعضهم البعض كما تقول، جميعهم يشعرون بأن المرأة حين تمنحهم حباً فهي ضعيفة فيسيطروا عليها، أو أنها منفتحة أكثر من اللازم ولا تصلح لتكون زوجة أو أماً.

"مريم"

شعرت براحة حين جلستُ أخيراً، كانت قدماي تؤلمانني من طول مدة الوقوف، ومن الحذاء الذي أصرت أمي أن ألبسه لأنه يبدو رسمياً وأنيقاً، وأثناء جلوسي وتدليكي لقدميّ رن هاتفي.

- مرحباً يا تركية.

- قدماي تؤلماني، وأنتِ السبب.

- لا تضعي حذاءك جانباً وتمشي حافية القدمين كما تفعلين في الحفلات!!! أحذرك يا مريم.

قوة التحذير جعلتني ألبس حذائي وأتحمل ألمي! أسمع أبي بجانبها "عادةً الناس يسألون عن حال ابنتهم حين تكون في قارة أخرى وأنت تهتمين بالحذاء؟!".

أخذ منها الهاتف.

- كيف حالك يا بابا.

- أهلاً أبي.. كل شيء على ما يرام، اشتقت لكم، كنت أتمنى أن تكونوا معي هنا، تركيا جميلة جداً يا أبي، يجب أن نزورها معاً يوماً ما.

- إن شاء الله، اهتمي بنفسك، وابقي مع المجموعة، لا تذهبي لأي مكان وحدك، وكلمينا قبل أن تنامي.

- حسناً يا أبي أعدك، سلم عليهم جميعاً.

أقفلت الهاتف وقد شعرت بدموعي قد تسارعت تريد أن تخرج من عينيّ، يمتلك أبي شخصية هادئة جداً ومتزنة، لا يحب التغيير بشتى أشكاله، تغيير المكان، تغيير العمل، أو حتى تغيير المنزل، يعمل في المكان ذاته منذ كان في العشرينيات من عمره، مدرس لغة عربية في مدرسة ثانوية، ورفض جميع أنواع الترقيات التي عُرضت عليه بأن يصبح إدارياً أو موجه للغة العربية في المدرسة، فقد أحب مهنته وأبدع فيها، ولم يكن يريد أن يغيرها مهما كانت الأسباب.

حتى روتين يومه لم يتغير منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، يعود من المدرسة يتناول غداءه، يأخذ قيلولة، يطالع الأخبار مساءً وهو يشرب الشاي المفضل لديه بالحليب والزعفران، ثم يعمل قليلاً في مكتبه، وينام مبكراً، هكذا هو، تعودنا عليه جميعنا، جميعنا عدا أمي.

كانت دائماً تشتكي منه أنه بسبب رفضه تلك الترقيات ظل وضعنا المالي متوسطاً، ولو أنه حاول أكثر أو قبِل بتلك الترقيات لكان حالنا كحال بيت خالتي، نسافر أكثر من مرة كل عام، نشتري حقائب من ماركات عالمية، وسيارات فارهة.

لم أكن أرى ما تقوله أمي صحيحاً، فأنا ابنة أبي، أشبهه كثيراً، لا أحب التغيير ولا تهمني تلك المظاهر كثيراً، أرضى بالقليل

طالما أنه يسعدني، ولكن أمي مختلفة، هي مليئة بالطاقة والحركة، تحب الخروج كثيراً، تحب تغيير وظيفتها، تحب تغيير أصدقائها، تنظر لما يفعله الآخرون لتفعل مثلهم، اختلف أبي وأمي كثيراً، وحصلت بينهما خلافات طويلة كادت تهدم عائلتنا، ولكن وبحمد الله وتدخل أهل أمي وأعمامي، عادت أمورنا للاستقرار من جديد، ونحن نأمل أن تبقى كذلك.

- هل كان الهاتف من الأهل؟

نظرتُ إلى أعلى فرأيت سيف يقف أمام الطاولة حيث أجلس، وهو يحرك السكر في قهوته.

- نعم.

جلس على الكرسي أمامي بدون دعوة، فاعتدلت في جلستي..

- هل أنتِ بخير؟ اشتقتِ لهم بالتأكيد.

- نعم.. أبي قلق جداً عليّ.. فهو لم يكن موافقاً أن أسافر، هذه أول مرة أسافر بها وحدي.. ولكنه لم يستطع القدوم معي.

- لا تقلقي.. أخبريه أن معك فريق عمل سيهتم بك، زملاء وزميلات في خدمتك.

ابتسمتُ له.

- ابتسمي يا مريم،فابتسامتك جميلة جداً.

شرب رشفة من قهوته وغادر الطاولة ليتركني وحدي بعد ما ألقى عليّ تلك الكلمة، لا أدري ماذا يفعل بي هذا الإنسان؟ ولِمَ يسبب لي كل هذا الإحراج؟ شعور غريب داخلي لا أستطيع تفسيره،

خفقات قلبي تعزف معزوفة مزعجة، وتلك الحرارة في وجهي لا أفهمها، لا أدري إن كان معجباً بي؟! أم يقول ما يقوله بحكم الزمالة والصداقة؟! ربما يقول الكلام ذاته لجميع الزميلات؟ آاه ليتني أستطيع أن أدخل عقله وأرى ما إذا كان ذلك إعجاباً أم شيئاً آخر.

وانتهى اليوم الأول للمعرض، شعرت بالفخر بما قدمته في الجزء الأول من اليوم، أما بعد كلامي مع سيف فقد انفصل تفكيري عن المعرض، وبقيت مشوشة التفكير لا أفعل أي شيء إلا أني أبحث عنه بعينيّ، متأملة أن يقترب مني مجدداً، ولكني كنت أراه مشغولاً جداً، وقبل رحيلنا، شكر سيف الجميع، وكلما وقع نظره عليّ، حاولت النظر بعيداً من شدة خجلي، أخذت حقيبتي وغادرت القاعة مع حنان، حاولت أن أتباطأ لعله يناديني ليقول لي أي شيء، ولكنه لم يفعل.

جلست مع حنان في مقهى قريب لنتناول طعام الغداء، تحدثت كثيراً عن أطفالها، عن زوجها، عن بيتها و يومياتها و كم تشعر براحة وحرية كبيرتين حين تكون وحدها هنا.

تكلمنا عن مواضيع مختلفة أبرزها المظهر الخارجي والأناقة، والتي كانت أكبر اهتمامات حنان، كانت تعطيني نصائح قيمة في المكياج والملابس لأني - وكما تقول - بحاجة ماسة للتدريب والتطوير في هذا المجال.

حاولت اقناعي بأن عليّ أن لا أفكر بالزواج نهائياً الآن؛ فالزواج من وجهة نظرها كالقفص الذي يقيد تحركاتي، وهو روتين قاتل بأن أكون ملكاً لشخصٍ واحد بقية حياتي، و لكني في المقابل علي أن أتعرف على أكثر من شخص واحد، أقضي وقتاً مسلياً كلما رغبتُ في ذلك، بدون قيود و عائلة و أطفال، استغربتُ حديثها كثيراً، أيعقل أن تكون تكره حياتها لهذا الحد؟ و كيف تتحدث عن انشاء علاقات مع رجال آخرين و هي متزوجة، و لم تشجعني على ذلك بهذه السهولة؟

قاطع حديثنا جلوس أحد الزملاء معنا على الطاولة، كنت أعرف شكله وأعرف أنه أحد العارضين معنا ولكني لا أعرف اسمه، بدا يعرف حنان جيداً، عرفته حنان عليّ، أني مريم وأعمل في قسم تكنولوجيا المعلومات.

- فرصة سعيدة.

قال الشاب الذي عرفت فيما بعد أن اسمه ناصر، كان الاثنان يتحدثان كثيراً وكأنهما يعرفان بعضهما منذ زمن، تمسح هي بقايا الخبز من جانب فمه، و يبعد هو الشيء العالق بين خصلات شعرها دون اعارة أي اهتمام لوجودي على نفس الطاولة، لو لم أكن أعرفهما، لقلت أنهما زوجين في شهر عسلهما، بل و حتى لو كانا كذلك، ربما يكونان أكثر خجلاً.

أصرت حنان أن يبقى ناصرمعنا قبل أن يذهب الاثنان مع بقية "الشلة" في جولة حول المدينة، وبعد دقائق، انضم إلينا بقية الأعضاء وجلس الجميع حولنا، كانوا جميعاً يعرفون بعضهم البعض جيداً، ومنسجمين في الحديث وأنا أنصت لهم وآكل طعامي بصمت الذي شعرتُ أنه يقف في أعلى حنجرتي و يأبى النزول، كنت لا أشعر براحة مطلقاً بل بضيق شديد، وفجأة، حدت بنظري و إذا بي أرى سيف ينظر إلينا من خارج المقهى عن بعد، وبمجرد أن التقى نظرانا ببعضنا البعض، مشى بعيداً، شعرتُ بالحرج الشديد وقد رآني أجلس مع مجموعة من الشبان الذين يدخنون ويتضاحكون حولي بصوتٍ عالٍ.

نهض الجميع وخرجوا من المقهى، وقامت حنان من مكانها معهم.

- هيا يا مريم،سيأخذنا ناصر في جولة، فقد استأجر سيارة خاصة.

- لا، اعذروني لا أستطيع الذهاب، سأعود للفندق.

صرخ الجميع بصوت واحد.

- لاااا يجب أن تأتي.

وقال ناصر:

- لن نذهب إن لم تأتِ معنا.

نظرتُ إلى حنان بخوف أريدها أن تساعدني في الخروج من هذا المأزق ولكنها لم تفهم، سحبتها بعيداً عنهم:

- حنان، لا أريد الذهاب حقاً.. لا أستطيع، سأعود للفندق.

- يا غبية!!! ناصر معجبٌ بك، لا تضيعي هذه الفرصة منكِ، تعالِ واستمتعي معنا لن نتأخر.

- ناصر متزوج.

- حسناً وما المانع؟

جاء ناصر من خلفي وحاول أن يمسك بيدي ليسحبني قائلاً:

- هيا لنذهب لا تكوني خجولة.

فاجأتني الحركة جداً وفاجأني قربه مني انتفضت في مكاني، أخذت حقيبتي وعدت أركض إلى الفندق، لم يكن جوهم يناسبني، ولم أعتد على الاختلاط في أجواء كهذه أبداً، ولا أرى نفسي أستطيع أن أتجول معهم في أي وقتٍ لاحق.

"سيف"

مرّ اليوم الأول بكل نجاح.. هنأت العارضين وجميع العاملين على هذه البداية المشرفة وتمنيت لهم ليلة سعيدة وبقية يوم ممتع، فالساعة لا تزال تشير إلى الرابعة عصراً. ذهبت الفتيات مع بعضهن للخارج، كنت على وشك الطلب من مريم اصطحابها في جولة لترى مدينة تقسيم، ولكني لم أكن متأكداً ما إذا كانت ستقبل بطلب كهذا، أم ستظن أني أتحرش بها، تركتها ترحل مع حنان بسلام، فهي لم تبدِ أي اهتمامٍ تجاهي.

ذهبت لغرفتي، بدّلت ملابسي وارتديت البدلة الرياضية، كان الجو بارداً نسبياً، ولكن الهواء كان نظيفاً ونسيمه عليلاً، ورائحة الذرة المشوية لا تسمح لك بتجاهلها، لم يكن أيٌّ من أصدقائي المقربين بصحبتي في هذه السفرة، فقررتُ أن أزور صديقي أبو مصطفى وأقضي بقية يومي معه، وفي طريقي.. لمحت مريم تجلس برفقة حنان وناصر والبقية، تعكر مزاجي فأنا لم أكن أظن أنها من هذا النوع من الفتيات كحنان وغيرها.

كان منظرهم مؤذياً جداً، ثلاث فتيات وحولهن الشباب يدخنون السجائر ويضحك جميعهم بصوت مرتفع، لم أتخيل أنها من الممكن أن تنسجم مع حنان وجوها مع ناصر والبقية، فمريم بدت لي مختلفة، حزنت جداً وأكملت طريقي إلى مقهى أبو مصطفى وجلسنا ندخن الشيشة ونتكلم في أمور الحياة.

كلمته عن معاناتي مع نادية وعدم اتفاقنا فصاح متعجباً:

ـ سيف الرومانسي يتزوج زواجاً تقليدياً!! هذا لا يمكن.

كان ذلك ما يشاع عني بين معارفي وأصدقائي، أنا الرومانسي محب الطبيعة وعاشق البحر، أنا قارئ الروايات العاطفية ومدمن المسلسلات التركية، كان كل من يعرفني يتوقع أن أتزوج بعد قصة حب تفوق في ثورتها أكبر قصص الحب التي عرفها التاريخ، ولكن بسبب أمي وترديدها جملتها المعتادة "لا تتعبني بزوجة ابن لا أتفق معها يا بني".. فلم أكن أقوى على عصيانها، فقد كنت أكبر أبنائها و الوحيد بين فتاتين، لذلك كانت مصرة أن زوجتي ستكون من اختيارها، وبالنسبة لي فرحتها هي فرحتي ورضاها هو مطلبي، كنت مقتنعاً أني سأكون سعيداً لو كانت هي راضية وسعيدة، وكم دعوت الله أن يجعل في نادية الخير الذي تراه أمي ويكتب لي السعادة معها.

عدت إلى الفندق ولم يفارقني منظر مريم وهي في المقهى مع الشباب، نمت بعد صلاة العشاء مباشرةً واستيقظت قبل شروق الشمس، بدلت ملابسي وقررتُ أن أراقب شروق الشمس من المطعم فوق سطح الفندق، حيث يقدم الإفطار يومياً من الساعة السادسة وحتى العاشرة صباحاً.

لم يكن هناك أحد في المطعم كما توقعت، فمن غيري يستيقظ قبل شروق الشمس في هذا الجو البارد ليتناول طعام الإفطار في الخارج، جلست على إحدى الطاولات القريبة من حافة السطح لأستمتع بمنظر الشروق الجميل.

وقت الفجر من الأوقات المفضلة لدي، أتذكر الآية القرآنية دائماً "والصبح إذا تنفس" فلم يقسم الله تعالى بهذا الوقت الا لجماله و نقاوة هوائه، ملأت صحني بما أعجبني من بوفيه الإفطار وعدت لطاولتي، وهناك وقعت عيني عليها، لم أكن متأكداً تماماً أنها هي، ولكن حين تحركت لتنظر باتجاهي رأيتها، كانت مريم تجلس على الطاولة المقابلة لي، فعرفت أني لم أكن الوحيد الذي يريد الاستمتاع بهذا المنظر الخلاب، لم أتمالك نفسي من فرحتي برؤيتها، أخذت صحني وغيرت طاولتي لأجلس معها على الطاولة نفسها.

- تسمحين لي؟

- لقد جلست وانتهيت، تفضل.

قذفتها في وجهي، شعرت أني سببت لها الإحراج ولكني جلست ولم أكترث، كنت أريد أن أعرفها أكثر، وهذا هو الوقت الوحيد الذي أستطيع فيه التكلم معها براحة دون الخوف من أعين الناس حولنا.

- لم الجلوس وحدك؟ أين حنان؟

قلت لكسر حاجز الصمت الذي كان بيننا، فركت يديها مع بعضهما البعض لتشعر بالدفء

- حنان أطالت السهر البارحة، وأنا لست من محبي السهر..

- إذاً لم تخرجي معهم البارحة؟

نظرت إليّ بخجل وكأنها عرفت ما أقصد.

- كلا، لا تستهويني أجواءهم أبداً.

كنت أريد أن أقفز إليها وأحتضنها بقوة من شدة فرحتي، لم أكن مخطئاً أبداً، حمدت الله بيني وبين نفسي أنها لم تفعل وشعرت أنها الفتاة المناسبة، التي أريدها، فيها شيء غريب يجذبني ويجعلني أشعر بمشاعر لم أشعر بها من قبل، ابتسمتُ ابتسامة عريضة وقلت لها:

ـ ما رأيكِ بالأجواء حتى الآن؟ لقد كنتِ رائعة البارحة، لم أتوقع ذلك بصراحة.

ابتسمت والثقة تملأ وجهها، واحمرت وجنتاها كما لوكنت أخجلت تواضعها، ثم عادت لتنظر للأفق من جديد، أرى في عينيها إعجاباً وسعادة لم أرهما في أحد من قبل، أَخَذَت نفساً عميقاً ثم قالت:

ـ المكان هنا جميل جداً.

ـ نعم.. دائماً تقام المؤتمرات في أفضل الفنادق.

بعدها صمتنا مجدداً، كانت قليلة الكلام، ترد على قدر السؤال، أهي خجلة مني؟ أم متضايقة من جلوسي معها واقتحامي خصوصيتها بهذه الطريقة؟ ربما هي تترك لي مجالاً لأتكلم، فحاولت كسر الصمت مرة أخرى

ـ هل أعجبكِ الإفطار؟

قلت لها بعد أن رأيت أن صحنها فارغ.

ـ إنه جيد، متنوع، ولكنه تقليدي، كنت أظن أني سأتناول إفطاراً تركياً، ولكني أحببت المربى كثيراً هنا، أظن أني سأشري منها قبل العودة.

هنا لمعت في بالي فكرة أن آخذها لمقهى أبو مصطفى وفي الوقت نفسه أُعرفها على مراد والمنطقة هناك، ستكون جولة صباحية رائعة.

- ما رأيك أن أخذك للمكان الأمثل لتناول الإفطار التركي العريق المصنوع بيد أفضل طباخة؟؟

لم أكن أعرف ما الذي أريده بالضبط من هذه الفتاة، ولكن اندفاعي ورغبتي بقضاء وقت أطول معها كانتا أقوى من تفكيري بالأسباب.

"مريم"

لم أكن متأكدة إن كان يجب عليّ قبول عرضه المغري أم لا، استمتعت كثيراً بالجولة معه في يومنا الأول، وكنت متأكدة أنها ستكون جولة جميلة وسأرى أماكن جديدة معه، ولكن هل من المفترض أن أقبل دعوة من زميل عمل كسيف، بالذات وأنا في داخلي شعور بالميل تجاهه؟! ماذا لو عرفت أمي أو أبي، هل كانوا سيقبلون أن ابنتهم تخرج مع رجل غريب في جولة في مدينة غريبة للمرة الثانية؟ يتردد في بالي اسم وليد كثيراً، ماذا لو عرف؟ هل سيكون راضياً عن شئ كهذا؟ هل سيقبل بي زوجة أم سيغير رأيه لو عرف؟

لكننا في رحلة عمل وسيف زميل وممكن أن يكون صديقاً، لِمَ لا نتقبل أن يكون لنا أصدقاء ذكور؟ صوت مجنون بداخلي يقنعني بقبول العرض، وهناك في المقابل جزء صغير من عقلي يمنعني، خوفي من المجهول ومن تجربة شيء جديد لم أعرف عنه شيئاً طيلة حياتي.

أوقفت الصراع حين انتبهت أن سيف أمامي ينتظر إجابتي، وعيناه العسليتان قد لمعتا كما تلمع أعين قطة تريد استعطافك بقطعة طعام!!

- حسناً، لمَ لا؟

ما إن نطقت بتلك الكلمة حتى قفز من مكانه تاركاً طعامه وقهوته وساحباً معطفه.

- هيا بنا

انطلقتُ خلفه، أراقب يميناً ويساراً خوفاً من أن أرى أحداً يراقبنا ويحاول تفسير ما يراه أمامه. كم كنت أخاف من كلام الناس وخصوصاً زملاء العمل، حين كان يتردد في الشركة أن فلانة على علاقة بذاك الزميل، أو حين نسمع خبر زواج زميلَيْ عمل، تفوح الأخبار هنا وهناك أنهما كانا على علاقة مع بعضهما البعض في الخفاء، فتظهر قلوب الحب في أعيننا، لأنهما توجا قصة حبهما بالزواج، ولكن ما يخيفني هو حين يعيب آخرون بأخلاقهما وعلاقتهما السرية، فأدعو الله أن لا أكون في مكانهما يوماً ما.

قرر سيف أنه يجب علينا أن نركب حافلة السواح التي تأخذك في جولة حول إسطنبول، وتوقفك في محطات مختلفة لتنزل وتستكشف المنطقة، كانت تجربة جميلة جداً خصوصاً أني ركبتُ في الطابق العلوي للحافلة، وكان سيف يشير لي إلى المعالم المهمة في المدينة، ويشرح لي تاريخها وأصلها، فلم أكن بحاجة إلى أن أضع السماعة التي من المفترض أن أستخدمها لأستمع للمرشد السياحي في الحافلة، فقد وفّى سيف بهذه المهمة على أكمل وجه.

حين وصلنا إلى محطة تقسيم، مشينا إلى أن وصلنا إلى شارع الاستقلال، وهناك دخلنا مكاناً أشبه بمخبز أو مقهى، بدا وكأنه فتح أبوابه لزبائنه للتو، كان الجو دافئاً في الداخل بعدما شعرت بأن أطرافي قد تجمدت من رحلة الحافلة، رحب بنا شخص

كبير جداً في الحجم، يبدو كأنه يعرف سيف من قبل، اسمه مراد، ثم أشار لنا أن نجلس على الطاولة في زاوية المخبز تطل على النافذة، و بعد قليل، بدأت السماء تمطر، فلمع الشارع في الخارج ببريق الماء، وتراكض المشاة هرباً من المطر، لقد كانت الأجواء رائعة.

قدمت لنا سيدة كبيرة في العمر كوبين من القهوة التركية الطازجة والساخنة، كانت رائحتها خيالية.

- لن تتذوقي أفضل من قهوة أم مصطفى.

قال سيف حين نهض وسلم على السيدة وقبلها على رأسها.

- هل لي أن أسألك سؤالاً؟

- تفضلي.

- كيف تعرفهم؟ وكم مرة بالضبط جئت إلى هنا؟ إنك تبدو من أهل البلد.

ضحك على سؤالي ثم قال:

- أعرفهما منذ مدة طويلة، فقد أنهيت دراستي الجامعية هنا في إسطنبول، قضيت حوالي خمس سنوات.

كل شيء بدا واضحاً الآن، حبه للبلاد، معرفته بالمناطق والناس هنا، كل ذلك أصبح مفهوماً الآن وقد عرفت أنه عاش لسنوات هنا، من المؤكد أنها كانت تجربة رائعة بالنسبة له.

أما أنا فلم تمر أكثر من ثلاثة أيام على فراقي لمنزلي، ولكن إحساس الحنين والشوق لأهلي والمنزل أكاد لا أحتمله، فكيف لي أن أعيش في بلد غريب لسنوات طويلة.

كنت أشعر براحة شديدة مع سيف، كان يمعن النظر إليّ بين الحين والآخر، وأنا أجرب الخبز الساخن الذي قدمته لنا السيدة ذاتها بعد أن خرج للتو من الفرن ليتأكد أنه أعجبني، فشعرت وكأنه طفل صغير كان قد جهز طعاماً لأمه وينتظر أن تبدي إعجابها به.

- هذا هو الإفطار وإلا فلا.

قلت له وأنا ابتسم، أريد أن أسعده كما يحاول هو إسعادي، لم أفهم إلى الآن اهتمامه بي ولا السبب الذي يدفعه للخروج معي وأخذي لأماكن مميزة بالنسبة له!! ولكني مستمتعة وأقضي أجمل أوقاتي هنا، لذلك قررت أن لا أفكر كثيراً في الأمر.

كان المخبز جميلاً ودافئاً والمخبوزات التي تقدمها أم مصطفى كانت في غاية اللذة، أعجبتني جداً علاقة الزوجين أصحاب المخبز، وكيف يديرانه، وكيف أنهما كرسا حياتهما ليديرا مقهى كان لأجدادهما وأجداد أجدادهما.

كم هي عريقة مدينة إسطنبول، كل شيء فيها قديم و حنون، كل شارع فيها يخفي قصصاً وحكايات تكاد تخرج إلينا لتتجسد أمامنا من بين جدران مبانيها وأزقتها الضيقة، كل جدار وكل ممر فيها يبدو وكأنه قد شاهد أحداثاً شتى على مر العصور.

تحدثتُ مع سيف عن أمور كثيرة، سألني عن أحلامي في المستقبل، وأين أرى نفسي بعد خمس أو ست سنوات، في البداية أشعرني وكأني في مقابلة لوظيفة ما، ولكني فهمتُ أنه يريد فقط أن يفهم كيف أفكر، أخبرته أني لا أرى نفسي موظفة بقية حياتي، وأني أريد أن أبدأ عملي الخاص، وتكون لي شركتي الخاصة في المجال الذي أحبه وهو تصميم المواقع الإلكترونية، لم أتناقش مع أي أحد من قبل عن حلمي، ولكن وجودي مع سيف جعلني أشعر براحة تامة أن أتكلم في أي موضوع أشاء.

شعرتُ بإعجابه بفكرتي وخطتي المستقبلية، قدم لي نصائح كثيرة وفي غضون ساعة شعرتُ وكأنني جاهزة تماماً لأقدم على خطوتي الأولى من الغد. كان سيف شخصية عملية جداً، يحب وضع أهداف أمامه ثم لا يتردد في أن يأخذ الخطوة الأولى فوراً دون أن يفكر فيما يمكن أن يحصل، على عكسي أنا، أنا مترددة في أغلب أحياني، أخشى التغيير وأحب أن أكون واقفة باطمئنان على أرض صلبة، على أن أقفز إلى جرفٍ لا أعرف ما أسفله.

بدأ الناس بالاكتظاظ على المكان، وبدأ الوقت يدهمنا، خرجنا من المخبز بعد أن شكرناهما على الإفطار اللذيذ، رأيت مراد يغمز لسيف بطريقة مريبة، وأجابه سيف بابتسامة تكاد تصل إلى أذنيه، يا الله لا تجعل خلف هذه الابتسامة الساحرة مصيبة تنتظرني.

كان المطر قد توقف، فتمكنا أن نتمشى في شارع الاستقلال، بدأ الناس بفتح محالهم والاستعداد للعمل، فاشتريتُ إكسسوارات محلية من البائعات في الشارع لأختي وأمي وخالتي. و بدأ الترام الأحمر بالتحرك ينقل الركاب و السواح إلى مختلف الأماكن، وفي غضون ساعة، اشتعل المكان بالحياة

ـ أظن أن أحلامي جميعها تحققت.. كم كنت أحلم أن أزور مدينه أوروبية عريقة مثل لندن وباريس!! أظن أن إسطنبول قد أوفت بالغرض.

ـ أنا سعيد لسماع ذلك.. وماذا أيضاً؟ ماهي أحلامكِ الأخرى.؟

- امممم، ربما أريد رؤية الثلج..

نظر إليّ باستغراب.

- ألم تري الثلج في حياتك؟

أجبته باستهزاء.

- الثلج الذي يتساقط من السماء ليجعل الأرض مغطاة بالبياض؟! لا.. لم أره....! حين كنت صغيرة، كنت أشاهد هايدي ومغامراتها في جبال الألب، وبائعة الكبريت وتجولها في المدينة تحت الثلج.. كنت مهووسة به حتى أني كنت آخذ القطن من داخل المخدات، وأطيّره في السماء لأتخيل أنه ثلج يتساقط حولي.

ضحك بقوة، ثم ظلّ بحدقُ بي وكأني قلت شيئاً لا يُصدق.

- مابك تنظر إليّ هكذا؟ أخبرتك من قبل أني لم أسافر من قبل إلا لأداء العمرة، أين سأرى الثلج بنظرك؟

- حسناً ما رأيك لو أخذتك لتريه؟

- أرى من؟!

- الثلج.

- أين؟ هي لا تثلج هنا في هذا الوقت! ماذا تقصد؟!

- قمة جبل الأولدوغ مغطاة بالثلج الآن.. فهي مرتفعة جداً والثلوج فيها لا تذوب إلا في الصيف، ما رأيكِ؟! صحيح أنكِ لن تري الثلج يتساقط، ولكنكِ سترين سفوح الجبال البيضاء.

لا أصدق أنه يريد اصطحابي إلى مكان ما، لوحدنا! ياله من مجنون! كيف يخطر على باله شيئاً كهذا؟!!

- لا بالطبع، لا أستطيع!! هل جننت!!

- اسمعيني، غداً آخر أيام المؤتمر، وبقي يومان زائدان بسبب عدم توفر الحجوزات، بورصة تبعد عن إسطنبول بالعبّارة حوالي ساعة، ومن الميناء الى قمة الجبل من ساعة لساعتين، سنركب التلفريك إلى القمة، وهناك سترين المكان مغطى بالبياض الناصع، ربما استطعنا التزلج، وثم سنستقل العبّارة مساءً وسنعود، لا يجب أن يعرف أحد، ستنبهرين، صدقيني.

لقد رتب للرحلة كاملة، ها هو يفعلها معي مرة أخرى، يحملني بحماسه إلى حيث لا أقوى على النزول إلا معه، هل أنا أفكر في الموضوع؟ هل يمكن أن أفعلها؟ هل أفعل هذا دون معرفة أحد؟ لم أخرق أي قانون سابقاً، ولم أفعل أي شيء دون إخبار أمي وأبي.

- ألم تفعلي شيئاً مجنوناً في حياتك سابقاً؟! هيا! وافقي!! أرجوك، سيكون أكثر الأشياء جنوناً.

لم أجبه، لم أكن أعرف ماذا يجب أن أرد، ولكنه أكمل.

- اسمعيني.. أنا معكِ، لن يحصل لكِ شيء! ستكون جولة سياحية بحتة، أعدكِ، صدقيني يا مريم!! أريد أن أفعل هذا معكِ.

لا أستطيع أن أقول لا لكلام كهذا.

أتذكر كلام ميساء صديقتي " اخرجي من قوقعتك! ودعي الناس يرون الإنسانة الجميلة التي بداخلك! لا أحد سيعرفك إن لم تعطِ أي أحد فرصة للتقرب إليك.. وسينتهي الحال بك مع ابن خالتك" .

- هيا! أريد سماع كلمة موافقة! لا تفكري كثيراً.

لو وافقت على الفور فسيظن أني لا أختلف عن أي فتاة يظن أنه يستطيع أن يقضي معها وقتاً ممتعاً، ثم يتركها متى شاء، ولكن لو لم أوافق، فلن أحظَ بالفرصة التي حلمت بها طوال عمري، لن أعيش المغامرة التي يتكلم عنها، لن أقضي وقتاً ممتعاً معه.

- سيف اسمعني، أنت شخص رائع وأنا متأكدة أنك لا تقصد أي شيء إلا أن نقضي وقتاً جميلاً هنا، ولكني لا أعرفك جيداً، وأريدك أن تعرف أنه ليس من عادتي أن أخرج مع أي شخص غريب لأتجول معه، ولم أتناول طعام الإفطار مع أي زميل لي في العمل أو حتى خارج العمل.

كان ينصت إليّ بصمت، وأنزل عينيه وكأني أوبخه، ثم رفع نظره إليّ لأكمل كلامي.

- ولكني بالفعل أريد رؤية الثلج، ولا أدري متى ستتسنى لي فرصة غير هذه، لذلك، حسناً، لمَ لا؟!

ابتسم ابتسامة عريضة كالتي تظهر في إعلانات معجون الأسنان، قفز من مكانه قائلاً:

- هيا يجب أن نعود للفندق وسأذهب وأحجز للرحلة.

عدنا مسرعين للفندق، تركني هناك وركض بعيداً، شعرت بأنه في قمة جنونه، والمشكلة أني كنت أسايره بكل ما يفعل، أشعر

وكأن إنسانة أخرى تتقمصني وأنا معه، لم أعد أعرف من أنا!! كل ما كنت أريده هو أن أكون معه، ربما لوكنت في مكان آخر وفي وقت آخر، لما وافقت.

مرّ اليوم الثاني كاليوم السابق، اختلفت الوجوه ولكن الأجواء واحدة، كانت الشعلة بيني وبين سيف لم تنطفئ بعد، مازالت جولة تقسيم وخطة الرحلة القادمة لا تزال في أذهاننا، نحن الاثنان، أشعر باحمرار وجنتيّ حين تلتقي عينانا معاً، أو حين أراه يسترق النظر إليّ وأنا في خضّم مناقشتي مع أحد الضيوف، فيغمز لي ليشجعني، وأبتسم أنا محاولةً تمالك نفسي لأستمر في النقاش. استطاعت حنان أن تكوّن صداقات مع شخصيات غريبة أراهم يترددون على زاويتنا ليتحدثوا معها أو ليحضروا لها كوباً من القهوة، أما أنا فقد كنت فقط أفعل ما عليّ فعله، أرفض أن أسترسل في حديث مع أناس أشعر بأنهم يرمون بحديثهم جوانب أخرى، وأبتعد عن أولئك الذين لهم مقاصد أخرى غير ما يبدونه، ولكني لم أستطع فعل ذلك مع سيف، لا أدري ماذا ينتظرني في تلك الرحلة؟! وهل سأذهب بالفعل؟ أم كنت أحاول إرضاءه فقط ليتوقف عن الكلام؟!

لا أعتقد أني أستطيع الذهاب، ليس دون أن أخبر أحداً كما طلب سيف مني، ماذا لو حصل لي مكروه؟ أو كان سيف يريد اختطافي مثلاً؟! أعرف أنها أفكار غريبة، ولكني شعرت أنه يجب

استشـارة أحـد لا يصـدر علـيّ أحكامـاً قاسـية قبـل أن أقـرر قـراراً مجنونـاً كهـذا، ولـم أفكـر فـي أحـد إلا ميسـاء..

أرسلك لها رسالة وانتظرت ردها..

"ميساء"

لم أعرف السبب الحقيقي الذي دفعني لتشجيع مريم لتذهب في تلك الرحلة، هل لأني بالفعل أريد لها أن تحظى بتلك الفرصة التي طالما حلمت بها وحدثتني عنها؟ تلك الفرصة التي ستسمح لها بالارتباط بالإنسان الذي يحبها لذاتها، وليس لأنه مجبر ومخطط له الزواج بها؟ أم لأني أريد لخطبتها مع وليد بأن تفشل لأحظى أنا بفرصة الزواج به؟ وليد وسيم العائلة ومحبوب الجميع، جميع أفراد العائلة كانوا متحمسين لخطبة مريم لوليد، إلا مريم!!

كنت أرى ذلك غباءً منها وتبطراً على النعمة، فهي حصلت على الشيء الذي تتمناه أية فتاة، أن تضمن زوجاً مستقبلياً فلا تحتاج أن تعاني من تلك الأسئلة التي لا تخلو منها أي حفلة أو اجتماع، على الرغم من أننا الاثنتان لم نتزوج بعد، إلا أن جميع الأسئلة القاسية كانت توجه لي أنا فقط "متى سنفرح بك؟"، "ألم تجدي أي أي أحد إلى الآن؟" أما المديح والمجاملة فتوجه لمريم دائماً "أنت الغالية وتستحقين الغالي" .

حتى حين كنت في الكلية وفي العمل، أرى جميع المدرسات وهنّ تتزوج الواحدة منهنّ تلو الأخرى، وتحمل وتنجب الأطفال الواحد تلو الآخر، إلا أنا فما زلت وحيدة أنتظر عريس

الغفلة، ومهمتي هي إحضار الهدية تلو الأخرى لكل واحدة منهنّ في مناسبتها الخاصة، حتى نادية مدرسة التاريخ التي عُقد قرانها من أحدهم من قبل، وتطلقت بعد أن كانت تحكي لنا عن حبهما الأسطوري، ها هي الآن تجهز لعرسها مع عريس جديد، حتى المطلقة حظيت بفرصة جديدة من مدير في شركة كبيرة كما تقول وتتفاخر، وأنا الجميلة لم تأتني فرصة حتى الآن!!

أشعر بالوحدة الشديدة في منزلنا، فأنا الفتاة الوحيدة بين أربعة صبيان، أعيش وحدي مع والديّ بعد أن تزوج إخواني الواحد تلو الآخر، كنت أنتظر زواج الواحد فيهم حتى نتعرف على عائلة جديدة، لعلي أجد فرصتي بين أحد شبانها، ولكن خططي كانت تفشل دائماً، فقد كانت العوائل الأربع التي صاهرناها إما أن لا يكون فيها رجال، أو ذكورها أطفال، أو متزوجين، لم يكن لي أمل عند أي منهم، وحين أحاول أن أنسى موضوع الزواج وأقرر أن أعيش حياتي كما هي وأحاول الاستمتاع كأن أسافر مثلاً، أشعر بالضجر الشديد مع أمي وأبي، فهما لهما طقوسهما الخاصة في السفر التي يحبها كبار السن، وأماكن محددة هي التي نزورها والتي لا تكون ممتعة على الاطلاق، فينتهي بي الحال أن أفعل كل شيء وحدي.

مريم صديقتي الوحيدة وابنة عمي واعتبرها أختي التي لم تنجبها أمي، وأتمنى لها الخير والسعادة، ويعلم الله أني لا

أحسدها، لكني حين أشعر بأنها مجبرة على الموضوع، أحزن، وأقول في خاطري "لـمَ لا ؟ لـمَ لا أتزوج أنا وليد ؟!".

كانت المرة الأولى التي قابلت فيها وليد عن قرب بعد أن كبر وأصبح شاباً وسيماً، فهو ضابط في القوات المسلحة، في الفناء الأمامي لمنزل مريم وهو قادم ليصطحب أمه للبيت، كنت أنتظر السائق ليصطحبني للمنزل، والتقينا نحن الاثنان، ابتسمت له وسلمت عليه بخجل.

أعترف أني كنت في كامل حلتي وأناقتي، فأنا أتعمد ذلك كلما علمت أن والدة وليد موجودة في منزل مريم، كنت أحاول جاهدة أن ألفت نظرها لي، أنتظر ذلك الوقت الذي ترفض فيه مريم زواجها من وليد، فأكون في أعلى قائمة الترشيحات وتخطبني، لو كانت فعلت لكنت تركت الكلية وتركت العمل، وذهبت معه أينما شاء في التو واللحظة، ولكنها كانت عمياء بحبها لأختها ولابنة أختها.

- كيف حالكِ يا ميساء؟

قال لي وقد رأيت في عينيه نظرات الإعجاب، تعمدت إخراج خصلات من مقدمة شعري، وأظهرت مجوهراتي الفاخرة التي كانت تزين معصمي.

- الحمد لله .. كيف حالك أنت؟

- أنا بخير.. إنها فرصة سعيدة أن التقينا.. لم أركِ منذ مدة.. كبُرتِ يا ميساء.

أخجلني بكلامه، فأنا أعرف أنه حين يقول شاب لفتاة أنها كبرت، فهو يقصد أنها أصبحت أكثر جمالاً وأنوثة.

ـ أنا أسعد...أنت هنا لترى مريم؟؟

كنت أعرف أن هذا ليس سببه، ولكنني كنت أبحث عن أي شيء لأقوله حتى لا ينتهي الحوار بيننا.

ـ أنا... اااامم.. لا .. جئت هنا لآخذ أمي.

بدا عليه الارتباك..

ـ نعم .. إنها بالداخل .. هل تريد الدخول؟

حاولت الظهور أمامه بطبيعية أكثر.

ـ لا.. سأنتظرها هنا.. لا يجوز أن تبقى فتاة جميلة مثلك وحدها.

هنا عرفت وأيقنت أني لفت نظره، لو كنت بقيت مدة أطول لاستطعت الإيقاع به أكثر، ولكن السائق وصل في اللحظة غير المناسبة، اعتذرت منه لأن عليّ الذهاب، ولكنه أصر أن يمشي معي إلى السيارة يفتح لي الباب ثم يقفله من خلفي، حاولت جاهدة أن أعتبر كل تلك التصرفات كأفعال أي أخ مع أخته أو قريب مع قريبته، لأن وليد كان خطيب ابنة عمي وصديقتي، ولن يغفر لي أحد من العائلة إن دخلت بين الاثنين، ولكن عقلي لم يرغب في تصديق ذلك.

"سيف"

في شركات الطعام المعروفة، يقوم الخبراء بدمج النكهات المالحة مع الحلوة بمعادلات دقيقة جداً ومدروسة، ليحصلوا على الطعم الصحيح، ذلك الطعم المعتدل المضبوط الذي يجعلك تتذوقه مرة ثم بدون إرادة منك، تتناول قضمة أخرى ثم أخرى، دون أن تستطيع السيطرة على نفسك. تلك هي مريم، بها مزيج من العقلانية والجنون، النضج والطفولة، التحفظ والانفتاح لتجعلني لا أكتفي منها، وأريد أن أجرب معها شيئاً جديداً في كل مرة أقابلها دون أن أملّ منها أو حتى أفكر.

لم أستطع الانتظار، ذهبتُ لمكتب تنظيم رحلات قد تعاملتُ معه سابقاً وحجزتُ مقعدين في رحلة بورصة بعد غدٍ، كم كنت متحمساً لتلك الرحلة مع أني زرت قمة الأولدوغ مرات عدة، ولكنّ بداخلي شعورٌ قوي أن هذه الرحلة ستكون من أجمل رحلاتي وأكثرها جنوناً.

ما زلتُ تحت تأثير الصدمة أن مريم وافقت على مرافقتي، من النادر جداً أن أجد أحداً يوافقني أفكاري وخططي اللحظية، فأنا بالعادة أحتاج أن أخطط قبل أشهرٍ أو أكثر إن كنت سأخرج مع العائلة، ويحتاج أصدقائي ساعات لنتفق أن ألتقي بهم في مكانٍ ما، أما حين أصل لمرحلتي هذه، مرحلة الجنون التي لا تصيبني إلا في تركيا، فلا أجد من يسايرني كما فعلت مريم اليوم.

لم أكن متأكداً تماماً ما إذا كانت موافقتها هي رغبتها فعلاً في رؤية الثلج لأول مرة، أم هي رغبتها في قضاء وقتٍ معي؟ بالنسبة لي أجد نفسي أنا الرابح في كلا الحالتين، ولكني كنتُ أتمنى من في أعماق قلبي أن يكون السبب الثاني هو دافعها الحقيقي حتى و إن لم تفصح به.

أرجو أن لا تكون قد وافقت فقط لتتخلص مني ومن ثم تتركني أذهب في الرحلة وحدي. وضعت آمالاً كبيرة وأخبرت كريم وجوليا أني سأزورهما في بورصة مع صديقة لي، اشتقت لهما كثيراً، وفرحتُ حين علمت أنهما لم يبيعا منزلهما الذي يقع فوق الجبل ولم ينتقلا إلى المدينة بعد، أنا متأكد أن مريم ستفرح كثيراً بلقائهما كما فرحت بلقاء مراد وزوجته.

هكذا أرى أن التجربة التركية لها يجب أن تكون على أصولها، وذاك يتضمن لقاء والتعرف على أشخاص من البلد نفسه، هذا ما اسميه سفراً حقيقياً.

عدتُ للمؤتمر ورأيتها قد انتزعت وجه الطفلة السائحة المجنونة التي كانت تقفز فوق برك الماء في شارع الاستقلال، ولبست قناع المرأة العاملة الناجحة، تعجبني في كلا حالاتها، أرى في عينيها نظرة مختلفة لم أرها من قبل، أهي سعادة أم بريقُ إعجاب؟! بقيت أراقبها عن بعد طيلة ذلك اليوم حتى نهايته ولم

أكتف بذلك، بل و لحقتها دون أن تشعر لأتأكد أنها صعدت لغرفتها بسلام ولم تخرج مع الشلة الفاسدة، كان شعوري بالمسؤولية تجاهها يكبر ويتصاعد يوماً بعد يوم، شعور أني لا أريدها أن تفارق بصري.

"نادية" يأتي صوت بداخلي يناديني، كلا، لم أكن أريد التفكير بنادية الآن، فكلما تحدث ذلك الصوت، أخرسته بسرعة.

وجاء آخر أيام المؤتمر، واقتربت رحلة بورصة، ازداد حماسي أكثر بالذات بعد أن تناولت طعام الإفطار معها هذا الصباح أيضاً على سطح الفندق، وتعرفتُ عليها أكثر، عرفتُ الكثير عنها وعن شخصيتها واكتشفتُ كم تشبهني في كثير من الجوانب؛ فهي طموحة جداً وتهتم باتقان عملها دائماً، وفي الوقت ذاته، فهي تقدر العائلة كثيراً ودائماً تضعها في أعلى قائمة أولوياتها.

ذهبتُ إلى قاعة المؤتمر وكانت قد سبقتني كما هي منضبطة كعادتها، وجنتاها حمراوان، شفتاها ورديتان، عيناها تشعان بريقاً لم أره في أحد من قبل، في كل يوم أتقرب منها أكثر، أراها تزداد جمالاً و جاذبية عن اليوم الذي قبله.

- سيف لم تأخرت؟!

- ما الأمر يا ناصر؟

- لا شيء.. كنت أريد أن أسألك عن تلك الفتاة صاحبة القميص الأصفر؟

كان ناصر يقصد مريم، وأنا أعرف حين يسأل ناصر عن فتاة، ما الذي يريد معرفته بالضبط!!

- نعم تقصد مريم منصور، ما بها؟!

- مريم منصوور .. مريم منصور.. أعجبتني جداً! إنها جميلة ألا تظن ذلك؟ هل عندك فكرة إن كانت مرتبطة أم على علاقة مع أحدهم مثلاً؟!

غضبتُ من ذلك السؤال، واستفزني أنه جاء من ناصر لأني أعرف مبتغاه، ولكني تمالكت نفسي، وأبديتُ الجهل واللامبالاة.

- كلا لا أعرف، ولا أريد أن أعرف، وأرجو منك أن تهتم بعملك أكثر من اهتمامك بزميلاتنا في العمل.

ابتعدت عنه حتى لا يظهر الغضب الذي في داخلي، والذي لم أعرف ما هو مصدره أو سببه، هل هي غيرة؟! أم لأن السائل كان ناصر الذي لا يتوارى عن فعل شيء مع أي أحد؟

هو متزوج من إحدى قريباته، ولكنه يفضل عدم قول ذلك ليحظى بفرص التعرف على الفتيات والخروج معهن، يقضي معهن وقتاً مسلياً إلى أن يمل، فيترك من كان معها ويبدأ علاقة جديدة مع فتاة جديدة، لا يكترث للون الفتاة، ولا جنسيتها ولا حتى عمرها، المهم أنها جديدة بالنسبة له، يفعل هو زميل عمل بالنسبة لي، نخرج معاً بين الحين والآخر، حاولت أن أنصحه مرات عدة بأن ما يفعله خاطئ جداً، ولكن ناصر يبقى ناصر، ولا يمكن تغييره، و لكن

الشيء الذي لا يمكنني أن أقبل به، أن يتقرب ناصر من مريم بأي شكل من الأشكال، أو حتى أن يذكر اسمها أمامي كمشروع جديد من مشاريعه.

غضبت جداً خصوصاً أني رأيت مريم تجلس على طاولة واحدة معه في ذلك اليوم، على الرغم أنها أكدت لي بأنها لم تخرج معهم، وأن حنان هي التي طلبت منه الجلوس معهم، بقيت غير مرتاح ولا مطمئن.

كنت معكّر المزاج وأنا أراقب ناصر يستغل الفرص ويقترب من الفتيات وبمن فيهنّ مريم، ليبدأ بأحاديث لا أساس لها، لا أحد يستطيع الإنكار أنه يملك حساً فكاهياً رهيباً وقدرة على جعلك تنصت له وهو يتحدث لساعات دون أن تشعر بالملل، وكنت أرى مريم تبتسم وتتحدث وتضحك معهم دون أن تعلم مقاصد ناصر السيئة، فازداد غضبي وكدتُ أنفجر، ذهبتُ إليهم جميعاً وانفجرتُ في وجوههم:

ـ لقد أحضرناكم هنا ودفعنا مبالغ طائلة لكم لتعملوا وتمثلوا الشركة بأفضل صورة، لذلك لا أقبل بأن تضيعوا الوقت بالضحك والأحاديث التافهة، لقد مرّ أكثر من ضيف حولكم الآن ولم تعيروه أي اهتمام.

انفضت الجلسة، وتطاير المجتمعون كلٌ في زاويته، كانت المرة الأولى التي أظهر غضبي أمام الجميع في مكانٍ عام، عيناي لم تفارقا مريم وهي تبتعد عني بعيداً بعد ما ظهرت على وجهها علامات الاستياء من تصرفي، لم أكن متأكداً هل من الصواب أن أذهب إليها الآن وأفسر لها سبب غضبي، أم عليّ أن أكون عملياً في هذا المكان وأتجاهل الأمر في الوقت الحالي، ثم أفسر لها حين نكون وحدنا، وأنا في قمة حيرتي وجدتها أمامي، عاقدة حاجبيها ووجهها منتفخ من شدة الغضب.

- لم يعجبني تصرفك معي ومع الزملاء قبل قليل.

كم تبدو جذابة أكثر وهي غاضبة!! تمالكت نفسي ولم أبتسم في وجهها، حاولت أن أبدو أكثر جدية منها.

- ماذا تتوقعين مني أن أفعل!؟ نحن في مكان عمل، ولم أرَ أياً منكم يعمل، إنه من واجبي أن أحاسب المقصرين.

- مقصرين!!! تعلم تماماً أني لا أقصر في عملي، وكوني أخذت قسطاً من الراحة وتحدثت مع بعض الزملاء، ذلك لا يضعني في قائمة المقصرين!! من غير العدل أن تشملني البقية.

تراجعت في قسوتي عليها بعدما رأيت أنها على وشك البكاء.

- أنا متأسف، معكِ حق، لقد بالغت في غضبي، ولكن صدقيني هذا لمصلحتك، لا أحب أن تتجمعي مع ناصر ومن معه، ولا أفضل أن تكوني ضمن مجموعته، فهو... تعرفين ... ابتعدي عنهم فحسب.. ثقي بي.

زال الغضب عنها، وعاد لون وجهها طبيعياً، ولكن علامات الاستفهام مازالت تغطي ملامحها.

- أنا لا أفهمك!!

- ماذا تقصدين؟

- تتغير بين اللحظة والأخرى، في لحظة أشعر وكأني أتكلم مع مديري في العمل، ولحظة أخرى أشعر .....

- انتظري لا تكملي، ليس هنا، اتبعيني..

- إلى أين؟ عندي عمل أنهيه هل نسيتي؟!

- تعالي..

طلبتُ منها أن تتبعني لخارج القاعة، شعرت وكأنها ستتهور وتقول كلاماً لا يجب أن تقوله وسط زملاء العمل وخاصةً قد شعرت أن هناك من يراقبنا.

أجلستها على الطاولة في غرفة الاستراحة وهناك قلت لها:

- بماذا تشعرين؟

بقيَت صامتة تحدق بوجهي تارة، وتبعد بنظرها تارةً أخرى، لقد شعرت أني اقترفت خطأً كبيراً حين وبّختها ولن تغفر لي أبداً، كل ما كنت أفكر فيه هو رحلة بورصة وخوفي من أن تغير رأيها في المجئ معي.

- جئنا هنا لتتحدثي، فالمكان هناك عام، وممكن لأي أحد أن يسمعكِ ويفسر ما كنتِ ستقولينه تفسيراً خاطئاً.

نظرت إليّ وكأن عينيها قد أخرجتا شعاعَين من نار كادا يحرقانني.

- ماذا كنت تظن أني سأقول يا سيف لأحتاج لمكان خاص لأقوله؟؟ هل تخجل أن يقال أنّ بيني وبينك شيء؟! لذلك تحتاج مكاناً خاصاً وليس أمام الجميع؟! انس كل ما حدث بيننا أرجوك حتى لا تحتاج أن تخجل من أحد.

حاولت تهدئتها لأفهم ما الذي أزعجها لهذه الدرجة، ولكنها أنهت حديثها ونهضت من مكانها ومشَيت بعيداً، أما أنا فقد بقيت في مكاني أشاهدها ترحل حائراً أفكر ما الخطأ الذي اقترفته؟وكيف أستطيع إصلاحه؟

"حنان"

- سيف ومريم!! مستحيل!! لا يمكن لتلك الفتاة أن تلفت نظر أي أحد!! خصوصاً سيف!

- صدقيني.. أنا أفهم الرجال، سألته عنها متظاهراً بأني لا أعرفها، واستاء كثيراً و كأنها شيء يخصه حتى شعرتُ أنه أراد أن ينقض علي ويلكمني، وحتى الآن، هل رأيته حين جاء وانفجر في وجهنا قبل قليل؟! بعدها بقليل، انسحب الاثنان وذهبا خارج القاعة، اخرجي وستري، من المؤكد أنهما في غرفة الاستراحة يتكلمان على انفراد ليعتذر منها على عصبيته.

لم أعلق، ولم أستوعب ما يقوله لي ناصر، سيف ومريم!! كيف؟!! ناصر أكمل:

- حين رأيت الاثنين يتمشيان في ساحة تقسيم في الساعة السابعة صباحاً، كنت أظن أني أتخيل لأني كنت مستيقظاً طوال الليل، ولم أكن أريد أن أظلم أحداً، ولكن حين سألته عنها اليوم، تأكدت أن الأمر ليس صداقة وحسب.

بدأ ناصر يكلم نفسه " تلك الفتاة تظهر بأنها شريفة أمامي وترفض الخروج معي، والآن تخرج مع سيف! ما الذي يملكه سيف لا أملكه أنا ؟".

أزعجني جداً كلام ناصر وكنت أريد أن أتأكد منه بنفسي، تركت قاعة المعرض وذهبت لغرفة الاستراحة، وكان كلامه

صحيحاً، رأيت سيف يجلس مع مريم على طاولة واحدة، ويبدو عليهما أنهما يتحاوران في أمرٍ مهم، ولكن كيف!! ولماذا!! سيف صاحب الشخصية الجذابة، والجسم الجميل والعينين العسليتين، يُعجب بمريم التي لا تعرف للأناقة عنواناً! كيف؟!

كانت الدماء تغلي في داخلي، لا أريد لعلاقة كهذه أن تنجح بدون سبب، كيف لمريم أن تحصل على سيف المدير المثقف الوسيم وصاحب العقل المتفتح؟ وأنا متزوجة من موظف استقبال بدين متخلف ومنغلق لم يكمل تعليمة الثانوي حتى، وكل ما يريد فعله هو الاستلقاء على الكنبة يأكل المكسرات ويشاهد المباريات المسجلة، وفي تلك اللحظة، شعرتُ بأن الحياة غير عادلة على الإطلاق.

لم يكن ذلك شعوري فقط، أنا متأكدة أني لو نقلتُ هذا الخبر لأي من الفتيات في الشركة ستشعر بالشعور ذاته، فلم تبقَ فتاة واحدةً في شركة الرؤية لم تتمنَ أو تحاول أن يعجب بها سيف أو ينظر إليها أو حتى يسلم أو يرد السلام على الأقل، والآن، يعجب بمريم و يخرج معها ليتمشى دون معرفة أحد!! وهو الذي يسمعني محاضرات طويلة عن الالتزام والعلاقات الرسمية في بيئة العمل! كيف؟ كيف استطاعت الإيقاع به وأن تغيره هكذا؟! لم يبدُ عليها الذكاء أبداً، أظن أني استهنت بها كثيراً، وأنا التي كنت أريد أن أساعدها في تغيير طريقة لبسها وقضاء وقت ممتع معنا.

عدت إلى المعرض وحاولت أن أشغل تفكيري بالعمل، ولكن ناصر لم يكف عن الحديث عن الموضوع ذاته، ليس لأنه مهتم، ولكن فقط لأنه يغار لأن مريم رفضت الخروج معه ثم خرجت مع سيف، لم يعتد ناصر أن يرفضه أحد؛ فهو يستطيع الايقاع بأي فتاة يريدها بإشارة واحدة، وأنا واحدة من هؤلاء الفتيات.

حين أكون معه أحاول أن أنسى أني متزوجة ولدي أربعة أطفال ينتظرونني في المنزل، أشعر معه بأني حية وأموت بمجرد عودتي إلى المنزل. علاقتي مع ناصر معقدة، غريبة، وغير مقبولة في أي مجتمع ولا دين، ولكنها خالية تماماً من أي قيود، لا أحكم على تصرفاته، ولا يحكم على تصرفاتي، أتكلم معه وأستشيره بأي موضوع أريد، وأجده يصغي إليّ، ينصحني ويوبخني أحياناً. حين تعرفُ عليه في البداية كنتُ أحاول أن أبدو متحفظة معه لأني متزوجة، و هو الأخر متزوج، ولكن بعد أن عرفته وتعلقتُ به و شعرتُ باهتمامه نحوي، قلت في خاطري، لمَ لا؟ لم لا أحظَ بشخص يهتم بي ويدللني ويملي علي الفراغ الذي أفقده من زوجي؟ وبالفعل، قلّت المشاكل بيني وبين زوجي كثيراً لأني لم أعد أطلب منه شيئاً، فكل ما أريده كنت أحصل عليه من ناصر.

حين رأيت اهتمامه هو الآخر بمريم، شعرتُ بالغيرة الشديدة وبأني سأخسره إن لم أتصرف سريعاً، يجب أن أُظهر مريم بمظهر سيئ حتى يكفّ وسيف عن الاهتمام بها. عاد سيف وحده للمعرض، ولم ترجع مريم، سألته عنها أكثر من مرة إلى أن رأيت علامات الاستياء قد ظهرت عليه.

أنهينا اليوم الأخير، جمعنا سيف وشكرنا ببرود، كان يبدو عليه الانزعاج، وكنت مستعدة لأدفع كل ما عندي لأعرف ما الذي دار بينهما، وماذا قالت له لتعكر مزاجه هكذا!

اتفقت مع بقية الشباب أن نخرج مساءً لنحتفل بنهاية المعرض، وعدتُ للغرفة، وحين دخلت رأيت مريم مستلقية على السرير تعبث في هاتفها وتطالع في قناة تتحدث التركية.

- لمَ أنتِ هنا؟ لِمَ لم تحضري ختام المعرض؟

- كنت متعبة قليلاً، احتجت أن أرتاح، هل كان هناك شيئاً مهماً؟

- لا، ككل المعارض، شكرنا سيف وبقية المدراء، وأعطونا شهادات تقدير، شهادتك لا تزال مع سيف

لم ترد عليّ، كنت أريد استفزازها لتقول لي ما الذي بينها وبينه ولكني فشلت، نهضت من مكانها وقالت:

- لقد طلبت عشاءً من خدمة الغرف، أدخليه أرجوكِ إذا وصل، سآخذ حماماً سريعاً.

تركتني ودخلت الحمام، كنت متأكدة أنها تريد الهرب مني، تبدو وكأنها تريد البكاء، ما الذي حصل بينهما يا ترى؟! كان الفضول على وشك أن يقتلني!!! بدّلت ملابسي ثم دقّ الباب، فتحته وإذا بها خدمة الغرف، ولكنه لم يكن عشاءً بل قهوة تركية وكعكة، شكرت الرجل ووضعت الصحن جانباً "هذا لا يسمونه عشاءً" قلت في نفسي، أكملتُ تعديل مكياجي، ثم نظرت للصحن ورأيت أن

هناك ظرفاً بجانب الكعكة، كنت أعرف أنه لا يجوز أن نفتح ما لا يجب علينا فتحه، وأنه يجب عليّ احترام خصوصية الآخرين، ولكني نسيت كل ذلك في تلك اللحظة، فتحت الظرف ووجدتُ بداخله رسالة بخط اليد، تبدأ بـ "إلى العزيزة مريم" وبطاقة تبدو كبطاقة حجز لرحلة ما..

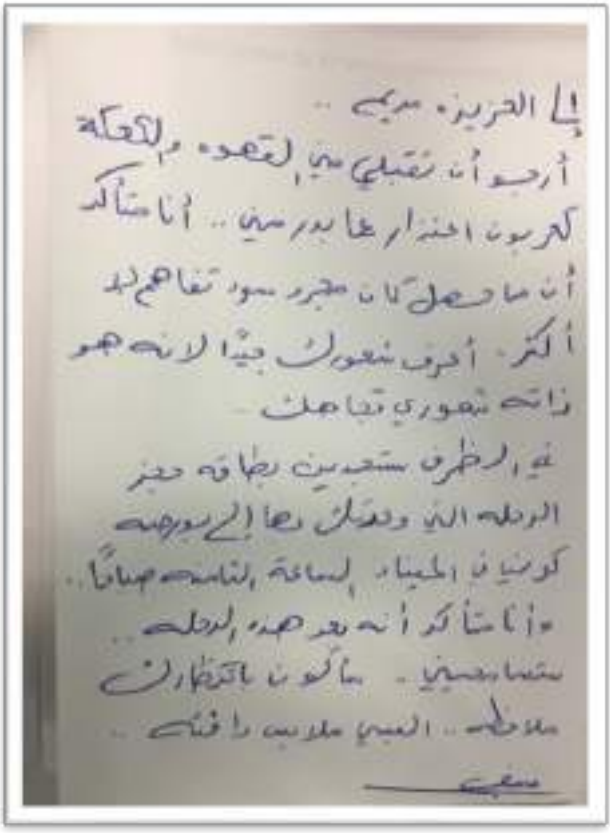

قـرأتُ محتواهـا وكـدتُ أنفجـر، فهمـت أن القهـوة والكعكـة مـن سـيف لمريـم وليس هو العشـاء!! إنـه يطلب منهـا أن تخرج معه، يترجاهـا فـي رسـالته ويعتـذر، وحجـز لهـا فـي رحلة! ماذا سـيفعلان يـا تـرى فـي بورصـة؟ لا تبـدو مريـم مـن الفتيـات السـيئات أو غيـر المحترمـات، حتـى أنـا لـم أفعلهـا مـع ناصـر أن أخـرج معـه فـي رحلة وحدنـا، لقـد ظننتهـا محافظـة جداً، ولكن يبدو أن ليس كل ما يظهر لنـا يجـب علينـا أن نصدقه، وسـيف!! الذي يبـدو وكأنه يغض البصـر كلمـا مررنـا بجانبـه، يأخـذ مريـم الأن فـي رحلة وحدهما!! يـا إلهي!! مـاذا سـيقول ناصـر لـو أخبرته!! سـيجنّ جنونه لو عـرف لذلك يجب أن لا يعـرف أبداً.

أخـذتُ الظـرف معـي حتـى لا تـراه مريـم، فأنا لـن أسـمح لهذه المهزلـة أن تحصـل، وخرجـت مـن الغرفة بعد أن صرختُ لتسـمعني مريمأنها تسـتطيع أن تشـرب القهوة التي طلبتُها لأني مستعجلة.

"مريم"

كنت بحاجة للبقاء وحدي قليلاً بعد الحديث الذي دار بيني وبين سيف، ربما كنت واضحة معه أكثر من اللازم، ربما فسر تجولي معه في أرجاء المدينة وموافقتي على الذهاب معه بأني غارقة في حبه، يا إلهي لقد فُضح أمري، لا أستبعد أن يذهب ويقول للجميع أني أطارده وأتجول معه في الصباح الباكر دون أن يعرف أحد، ماذا سيفكر عني في نفسه؟!

كل ما كنت أريده هو إفساح القليل من المجال له للتقرب مني، ولكن أظن أنه فسر ذلك بشكل مختلف تماماً، من المؤكد أنه فسره بأني فتاة منفتحة قليلة التهذيب، لا أستطيع أن أذهب معه لأي مكان، لا يمكن، سامحك الله يا ميساء!

بقيتُ في غرفتي في ذلك اليوم، أكلت الكعكة التي تركتها لي حنان ولم أخرج حتى لبهو الفندق خشية أن أصادف سيف، تذكرت عرضه لي بأن يأخذني لبورصة، وأنه من المفترض أن يكون ذلك غداً، ولكن من المؤكد أنه نسيَ الموضوع، فهو حتى لم يحاول الاتصال بي أو إرسال رسالة على البريد الإلكتروني ليعتذر مني ويخبرني أني أسأت فهمه، بقيت في مكاني على السرير في الغرفة وجهاز الحاسوب أمامي أنتظر لعله يرسل لي أي شيء.

اتصلتُ بميساء لأحاول أن أنسى ما حدث.

- ما أغباكِ يا مريم! لمَ تتصرفين بهذه الحدّة دائماً! من المؤكد أنه لم يقصد ما جاء في بالكِ!

- أنتِ لا تعرفين شيئاً، لم تري وجهه حين كدت أقول ما أشعر به، وأنتِ تعرفين أني لا أقول ما في خاطري بسهولة.

- أعرف، أقسم لكِ أني أعرف، فأنتِ كالبئر العميقة لا أحد يعرف ما تشعرين به حتى لو غاص في أعماقكِ، ولكنه أراد فقط أن تقولي ما تريدين قوله في مكان خاص وليس أمام الجميع، ما الجريمة التي ارتكبها؟ أنا لا أفهم.

- لا أعرف، لا أعرف، أظن أن الوضع بأكمله خاطئ، لا أظن أني أَصَبتُ حين وافقت على الخروج معه، جميع الرجال يحبون استغلال الفتيات بمثل هذه التصرفات، ومن ثم يتركونهم ليرتبطوا بمن لم يعرفوا عنها أي شيء.

- لا تُعممي هذه القاعدة الغريبة وكوني صريحة معي.. ألا يعجبكِ؟!

- آاااه يا ميساء، إنه الشخص المثالي.. شخصيته جميلة ولطيفة، مثقف.. وسيم .. وحنون.. أشعر بالأمان حين أكون معه، إنه جذاب جداً يا ميساء، حين أكون معه، أشعر أني لا أريد أن أفارقه، ولكن لا تسيئي فهمي أرجوكِ.

- أفهمكِ، ودعيني أذكركِ، شخص مثل هذا لا تجدينه كل يوم، فكري جيداً.

بقيت صامتة لوهلة أفكر بكلامها.. ولكن لا أعرف كيف أتصرف..

- سأفكر.. حسناً.. سأكلمك لاحقاً..

كنت في حيرة من أمري، حتى أني خجلة من مجرد التفكير في الأمر، شارف اليوم على الانتهاء، ولم يصلني أي اتصال من سيف ففقدت الأمل، تناولتُ عشائي وحيدة ثم قضيتُ باقي الليلة أحاول الاتصال بشركة الطيران لعلي أستطيع تغيير موعد سفري طالما أن المؤتمر قد انتهي، بالرغم من رغبتي في البقاء والتجول بين شوارع إسطنبول وشراء التذكارات لبقية أفراد العائلة، إلا أني أردت أن أُبعد أي فرصة من الممكن أن ألتقي فيها بسيف، أردت فقط الاختفاء، ولكن جميع جهودي باءت بالفشل، فلم أستطع تغيير الرحلة بسبب عدم توافر حجوزات في الدرجة السياحية، وإلا فإنه علَيّ دفع مبلغ كبير إن أردت الحجز في درجة رجال الأعمال وأنا لا أملك مبلغاً كذلك، وانتهى بي الحال أن قضيت وقتي وأنا أشاهد التلفاز الذي لا أفهم منه شيئاً حتى نمت دون أن أشعر.

"سيف"

أرسلت القهوة والبطاقة مع العامل، وبقيت في المقهى أنتظره لأتأكد أنه سلمها إياها، وبالفعل عاد بعد دقائق يقول لي بأنها تسلمتها، فكرتُ أن أتصل لغرفتها فقط لأتأكد أنها ستأتي، ولكني ترددت، لم أكن أريد الضغط عليها، فلو رغبَت في المجئ ستأتي! أنا متأكد.

قررتُ إنهاء ليلتي بالصعود لحجرتي والنوم مبكراً، صادفت في المصعد حنان، سلمت عليها ببرود، ولكنها بقيت تنظر إلي كالتي تنتظر مني أن أقول لها شيئاً، تجاهلتها وأكملت طريقي. عرفت أن مريم وحدها في الغرفة، جاءني ذلك الصوت الغريب بداخلي يقول إنه علي أن أذهب وأعتذر لها شخصياً، ولكني استغفرت الله وتجاهلتُ الصوت وحين دخلت الغرفة رن هاتفي.

- مرحباً يا أمي الغالية.
- أهلاً بني، كيف حالك؟
- بخير، اشتقت لك يا ست الحبايب.
- وأنا أيضاً يا حبيبي، متى الوصول؟
- بعد غدٍ إن شاء الله سأرى وجهك الجميل، ادعي لي يا أمي.
- أدعو لك دائماً، صوتك غريب، هل أنت قلق من شيء.

أمي هي الإنسانة الوحيدة في هذا العالم التي تعرف كل ما في نفسي من صوتي، حتى وإن كان يبعد عنها آلاف الكيلومترات.

- كلا، أنا بخير، ألا يطلب الابن من أمه أن تدعو له!

- بلا بالطبع، اتصلتُ بك أخبركَ أن والدة نادية اتصلت بي.

وهنا شعرت وكأن صخرة كبيرة جلست على صدري..

- أكملي يا أمي.

- اهتم بالفتاة يا بُني فهي زوجتك، أمها تشتكي لي أنك لا تهتم بنادية ولا بحفل زفافكما، يوم فرحي بك يا بني هو يوم مناي فأنت البكري.

- هي قالت أني لا أهتم بها!! لقد جنت هذه الفتاة!! كيف لا أهتم بها وهي كلما حاولت أن أتكلم معها عن أي شيء تحوره وتغيره لتتكلم عن حفل الزفاف!! هي مهتمة بالنيابة عنا نحن الاثنين صدقيني!! إنها قصص نساء لا أستطيع التدخل بها.

- اهدأ يا سيف ما بك؟ أنا فقط أنقل لك ما قالته أمها، أنت تعرف أنها صديقتي منذ زمن ونادية مثل ابنتي، ولا أحب ألا تكون راضية.

- حسناً يا أمي، حسناً سأكلمها أعدك، أريد فقط رضاكِ عني.

- راضية يا بني، راضية عنك دوماً.

انتهت المكالمة وبقيت أفكر كيف لنادية أن تقول أني من لا يهتم بها!! ما الذي يجب أن تفعله للفتيات ليفهمن ما تقصد؟ كيف أصبحتُ قليل الاهتمام وهي التي لم تتصل بي إلاّ مرة واحدة منذ ثلاثة أيام؟ آاه لن أدع نادية وأمها تعكّران ليلتي أكثر مما هي متعكرة، استلقيت على السرير محاولاً تهدئة أعصابي، ولم أفكر إلا في رحلة الغد.

رنّ منبهي صباحاً، أخذت حماماً سريعاً، أردت أن أكون هناك قبل مريم، خشية أن تضيع أو تضل الطريق، شعرتُ فجأة أنه كان يجب أن أرافقها للميناء، ولا أطلب منها الذهاب وحدها في وقت مبكرٍ كهذا.

كانت الساعة ما زالت السادسة والنصف، أعددت قهوة سريعة التحضير في الغرفة، شربتها على عجل، أخذت معطفي وقفازين وخرجت، وفجأة شعرتُ بأنه لا يمكن لمريم أن تكون قد أحضرت قفازين فأخذت قفازين أخرين لها.

كانت درجة الحرارة تقارب الخمس درجات مؤوية في الميناء، اشتريتُ قطعة سميط وكوب شاي من كشك صغير في الميناء وجلست على مقعد أنظر إلى البحر وأنتظرها، حين قاربت الساعة تشير إلى السابعة والنصف، بدأ السواح ممن حجزوا في الرحلة ذاتها بالتوافد إلى العبّارة، وقفت أنتظر مريم وأنظر يميناً ويساراً، أتقدم خطوة نحو الشارع الرئيسي ثم أعودُ إلى حيث العبّارة تقف.

وبّخت نفسي ألف مرة لأني لم أصطحبها معي، أطلقت العبارة صافرتها معلنةً وقت الانطلاق، جاءني منظم الرحلة يطلب مني الصعود، طلبتُ منه الانتظار خمس دقائق فقط وبأني أنتظر شخصاً آخر، لم يكن سعيداً بطلبي ولكنه سمح لي بالانتظار قليلاً.

ليس من عوائد مريم التأخير على المواعيد، هل قرأت البطاقة؟ أم لم تفهم ما فيها؟ هل فهمت ولكن قررت عدم المجئ معي؟ هل حصل لها مكروه؟ كنت في دوامة تساؤلات، وقررت عدم الذهاب والعودة للفندق لأعرف سبب عدم مجيئها، أطلقت العبّارة صفارتها الأخيرة، وأخبرني منظم الرحلة أن عليهم الذهاب، اعتذرتُ وقلتُ له إني لن أرافقهم، فانطلقوا وتركوني أقف وحيداً.

لم تكن شدة البرد بقدر شدة الألم الذي كان بداخلي، شعرتُ أني على وشك البكاء، مشيتُ عائداً إلى الفندق جاراً أذيال الخيبة خلفي والأفكار تتخبطني، هل تسرعتُ حين طلبت منها طلباً كهذا؟ هل فهمت مقصدي بطريقة خاطئة؟! أنا لم أقصد سوءاً أبداً، ولكني ربما تسرعت فهي تبدو فتاة متحفظة جداً، وتفكر الآن كيف تجرأت وطلبت منها أن تذهب معي دون أن تخبر أحداً.

فرحتي بأني وجدتُ شخصاً يشاركني جنوني لم تكتمل، وبخت نفسي كثيراً في طريقي للفندق، كيف أني أضعت على نفسي فرصة التعرف على هذه الإنسانة بجنوني وتسرعي.

كنت معكر المزاج ومحبطاً لأبعد حد، ذهبت إلى مقهى أبو مصطفى لعلي أجده هناك وأكلمه، ربما أجد عنده النصيحة، وبمجرد أن دخلت المقهى وجدت مريم هناك، تجلس وحدها بهدوء كالملاك، ترتشف قهوتها وتراقب المارة في الشارع، كانت تجلس على الطاولة ذاتها التي جلسنا فيها، لم أصدق عينيّ، ماذا تفعل هنا؟ ولمَ تركتني ولم تأت معي بالرغم من أني اعتذرت لها؟!

جاءني مراد يسلم علي كعادته.. وقال:

- يجب أن نشكرك على زبائننا الجدد.

وغمز لي وهو ينظر إليها، ثم اقترب مني وهمس في أذني:

- إنها فتاة جيدة يا سيف، لا تخسرها ولا تجرحها.

ابتسمت له، يبدو أن مراد يرى في مريم ما أراه أنا، وأظن أنه يقصد أنه عليّ أن أخبرها بأمر نادية، ولكن كيف؟ لو أخبرتها أني عاقد قراني بفتاة أخرى سأخسرها بالتأكيد، ولو أخفيتُ الأمر عنها أكثر، فإني سأتعلق بها أكثر وأجعلها تتعلق بي وسيكون الفراق بيننا أصعب. لم أستطع أن أقرر قراراً كهذا وأنا في تلك الحالة، كنت أريد أن أتأكد على الأقل من مشاعري تجاهها ومشاعرها تجاهي.

وقفت أمام طاولتها دون أن أنطق بكلمة، انتظرت دقائق حتى انتبهت لوجودي، رفعت عينيها باتجاهي ثم نظرت للشارع من جديد، لا أدرِ لمَ ما تزال غاضبة مني مع أنني اعتذرت، قلت لها:

- لو مرضتُ من الوقوف وحيداً في البرد سأحملكِ المسؤولية.

نظرت إليّ باستغراب شديد، و كأنها لا تفهم اللغة التي أتكلمها، أكملت:

- انتظرتك في الميناء ولم تأتِ، لماذا؟

- كيف تريدني أن آتي دون أن أعرف متى وأين؟ أنتَ من اقترحت أمر الرحلة، ثم اختفيتَ وتركتني دون أن تخبرني شيئاً بعدها!! سيف أرجوك، كفّ عن ذلك، توقف، أخبرتك من قبل، وأعيدها لك، أنا لستُ من الفتيات اللواتي تتسلى مع إحداهن لفترة ثم تتركها.

- ماذا تقولين؟ أرسلتُ لكِ القهوة والكعكة البارحة، والرسالة وبطاقة الرحلة!! ألم تصلكِ؟

فتحت عينيها أكثر وكأني صببتُ ماءً بارداً عليها.

- أية رسالة!! كلا! يا إلهي!! أكانت كعكة شوكولاتة وقهوة تركية؟!

- نعم!! نعم!! إذاً تسلمتيها لقد أكد لي النادل أنه أعطاكِ إياها!

غطّت وجهها بيديها وهي تقول:

- يا!! الله!! يا الله!!

- ما بك!! أخفتِني!!

- كانت حنان! هي من تسلمتها ولا بد أنها قرأت الرسالة التي تقول إنك أرسلتها، قالت لي إنها هي من طلب الكعكة ثم خرجت ولم أرها من وقتها! ماذا كتبتَ يا سيف؟ يا إلهي، هل عرفت أني كنت سأذهب معك؟ ماذا أفعل يا إلهي! ماذا ستفكر في نفسها؟

وبدأت تبكي، لم أعرف كيف أتصرف وكيف أقوم بتهدئتها، لقد كانت محقة، فحنان كثيرة الكلام. لو نشرت في الشركة أني قد بعثت لمريم رسالة أطلب منها القدوم معي لبورصة وحدنا ستتشوه

سمعة مريم بالتأكيد وسمعتي أنا أيضاً، وإن وصل الأمر للإدارة، ربما نتلقى نحن الاثنان رسالة تنبيهية، ولكن وبالرغم من كل ذلك، كان هناك جزء صغير مني سعيد أن مريم لم تأت لأنها لم تعرف بأمر الرسالة وليس لأنها رفضت الفكرة.

- سأحل الموضوع، لا تقلقي، عودي للفندق واتركي الأمر لي.

- ماذا ستفعل؟ أرجوك لا تفعل أي شيء آخر.

- أنا من وضعتكِ في هذا الموقف وأنا من سيحل الأمر، ثقي بي.

عُدنا إلى الفندق، صعدت مريم لغرفتها وبقيت في بهو الفندق أنتظر حنان تنزل حتى أكلمها، وبالفعل، انتظرتُ قرابة الساعة إلى أن نزلت أخيراً وحدها، ناديتها وطلبت منها أن نجلس لأني أريدها في موضوع مهم.

- تفضل أستاذ سيف، تكلم، ما الأمر؟

- أنتِ تشاركين مريم في غرفة واحدة وربما تعرفينها أكثر مني، ما رأيك بها؟ أنا أثق برأيكِ جداً.

نظرت إلي نظرة غريبة وكأنها لا تصدقني، وفي الحقيقة كنت أكذب لأني لا أثق برأيها أبداً، ولكن كان عليّ كسب ثقتها حتى تتكلم.

- إنها فتاة جيدة، ملتزمة، تعيش في قوقعتها الخاصة، لم أختلط معها كثيراً مع أننا في الغرفة ذاتها، ولكنها تميل للوحدة والهدوء أكثر.

ابتسمتُ وشكرتُ الله أن مريم لم تختلط معهم.

- في الحقيقة، لقد اقترفتُ خطئاً كبيراً وأريدكُ أن تساعديني في إصلاحه، أرسلتُ لها رسالة بالأمس، أخبرتني مرة أنها تريد أن ترى الثلج وقلت لها بكل بساطة أني أستطيع أصطحابها لتراه في بورصة، تذكرين حين ذهبنا جميعنا إلى هناك في العام الماضي مع المجموعة وكانت رحلة ممتعة، و لكنها لم ترسل لي أي رد، والآن ترفض الكلام معي، أعتقد أنها مختلفة عني وعنك وعن بقية مجموعتنا، تعرفين، نحن متفتحون، ونخرج معاً دون أن نكون نقصد أي شيء، ولكن هي، أظن أنها فهمت الأمر بطريقة خاطئة وأخشى أن تنقل ما في الرسالة لأحد آخر، ماذا أفعل الآن بنظرك؟

نظرَت إليّ وابتسمت ابتسامة خبيثة، الجميل في حنان أنك تستطيع خِداعها بكل بساطة، وتستطيع أن تكسب ثقتها بسرعة بالقليل من المديح، بقيتُ أنظر إليها وأنتظر ردها، تناولت حقيبتها وأخرجت الظرف منها.

- يجب أن تحمد ربك كل يوم وتُقدر أن لديك صديقة مثلي، ها هي رسالتك، لم ترها مريم لأني أخذتُها قبل أن تراها، لقد تعجبتُ كيف لسيف أن يقع في خطأ كهذا، لقد أنقذتك هذه المرة يجب أن تشكرني، مريم ليست مثلي ومثلك، هي مملة ومعقدة كثيراً، حتى أنها ترفض الخروج معنا، كيف توقعت أنها ستخرج معك؟

تظاهرتُ بالفرحة الشديدة لأنها أنقذتني، شكرتُها وقلتُ لها أني سأرد لها هذا الجميل يوماً ما، طلبت منها أن تعدني أن يبقى هذا الأمر بيننا وأن لا تخبر أحداً، وارتحتُ أكثر حين علمت أنها لا تريد إخبار ناصر بالأمر أبداً.

ثم نظرَت إليّ وقالت:

- إن كنتَ مازلتَ تريد الذهاب معها، يمكنك أن تحجز للجميع، هكذا لن يكون الأمر غريباً عليها، وستقبل أن تذهب بالتأكيد.

كأنها أنارت لي فكرة عظيمة، بالطبع أستطيع فعل ذلك بكل سهولة، بالرغم من أنه لا يوجد متسع من الوقت، ولكن مازلتُ أستطيع إرسال بريد إلكتروني للجميع ومن يستطيع القدوم سيأتي.

لم أفكر في الأمر أكثر، أخذت موافقة المدير، وحجزت في رحلة الساعة ١٢:٠٠ ظهراً، أرسلتُ رسالة على بريد الجميع أخبرهم أنه من يريد المشاركة في الرحلة يتجمع في الميناء قبل الثانية عشرة ظهراً.

"مريم"

كنـت أنتظـر فـي غرفتـي وأنـا فـي قمـة توتـري، أنتظـر أي خبرٍ من سيف يخبرني أنه وجد حلاً للمشكلة، كنت أشعر بالخجل الشـديد من حنان ومن الجميع، أشـعر وكأن الجميع يعرف كل شـيء عنـي وعـن سـيف، وفجـأة، وصلتنـي رسـالتان إلكترونيتـان:

تأكدتُ أنّ سيف مجنونٌ بكل تأكيد، لقد جهز رحلة إلى بورصة لجميع الموظفين الموجودين هنا، أيعقل أنه فعل ذلك فقط لأجلي؟ أضحكتني رسالته، ولكني لم أفهم كيف حلّ الأمر مع حنان. ترددتُ فيما إذا كان عليّ الذهاب أم لا، ولكن كان يجب أن أفعل ما يطلبه لأنه من المؤكد أن ذهابي إلى الرحلة جزءٌ من خطته.

بالفعل، ذهبتُ للميناء، كان الجو ماطراً وبارداً جداً، وجدتُه يقفُ وحيداً في الميناء بجانب العبّارة، أشفقتُ عليه وحين رآني ابتسم.

- في الوقت المناسب، هيا لنصعد.

لم أجد حنان ولا أي من العارضين، فسألته:

- أين الجميع؟ ألم يأت أحد بعد؟

- حنان اعتذرت وقالت إنها ستسافر اليوم مساءً، اتصلتُ بناصر ولكنه لم يرد، أظن أنّه مازال نائماً فهو عادةً ما يسهر حتى الصباح، أما البقية، فقد اعتذر كل منهم لسببٍ مختلف، و لم يبقَ إلا أنا و أنت، من جديد!

ابتسمتُ من الموقف، كان غريباً ومضحكاً جداً، وكأن الله يريد منا أن نذهب في هذه الرحلة وحدنا!

- ماذا فعلت مع حنان؟

- لا خوفٌ منها، جعلتُ الأمر يبدو وكأني أنا من فعل كل شيء وأنت لا تعرفين عن الأمر، جعلتُ من نفسي أبدو وكأني أطلب رضاكِ وأنتِ ترفضيني فأشفَقت عليّ وكبُرتِ أنتِ في عينها وربما غارت منكِ، حنان غير مفهومة أبداً، المهم في الأمر أنه لا عليكِ أن تقلقي منها، لن تخبر أحداً، هذا ما وعدَتني به.

أطلقتُ تنهيدة طويلة من شدة راحتي فقد كنت بالفعل خائفةً جداً من أن يعلم أحد. كانت يداي ترتجفان ففركتُهما ببعضهما البعض ونفختُ فيهما حتى أشعر بالدفء.

- البرد قارص، حظّنا سيئ.

مدّ لي قفازين، فاجأني ونظرت له بتعجب قائلة:

- لا لا أستطيع أخذهما، إنهما لك، سأشتري قفازين حالما نصل إلى هناك.

- عندي اثنان آخران، أحضرت هذه لكِ، سأذهب لأشتري شاياً ساخناً، انتبهي ألا تسقطي.

ضحكتُ ضحكة استهتارية ولبستُ القفازين لأدفئ يديّ، يا لَه من حنون، كيف يفكر في كل شيء، أشعر أني أتعلق به أكثر يوماً بعد يوم، عاد إلي بعد دقائق وأعطاني الشاي، ارتشفتُ منه رشفة لأشعر بالدفء ثم قلت له:

- هل تعرف، لو كنتُ كاتبة أو شاعرة، لألفت رواية أو ديواناً شعرياً فقط وأنا أقف هنا.

ثم جَلسنا نشاهد منظر البحر ونستمع للمرشد السياحي الذي لم يتوقف عن الكلام، وهو يشرح لنا ما نراه عن يميننا وشمالنا.

نظرتُ إليه وقلت:

- أنت تصِف تركيا وتشرحها أفضل منه.

ابتسم ابتسامة عريضة، بالرغم من بَساطة ونُدرة كلمات المديح التي أقولها له بين الحين والآخر، ولكني أشعر وكأنه يكاد يقفز من الفرحة في كل مرة أفعلها.

لم نتوقف عن الحديث طوال الرحلة، أخبرني عن هواياته المختلفة، تكلمنا عن الكتب التي قرأناها، هو من هواة قراءة الروايات وبالأخص العاطفية منها، وهو شيء صَعُب عليّ تصديقه في بادئ الأمر، أما أنا فأميل لقراءات تطوير الذات وكتب الفلسفة، وأحب جداً أن أقرأ السير الذاتية لأصحاب الإنجازات العظيمة في الحياة كغاندي ومانديلا.

تكلمنا عن العائلة، بدا لي متحفظاً في الكلام عن عائلته، أخبرني عن شدة تعلق والدته به، وكيف أنه يشعر أحياناً أنها تتحكم في أغلب قراراته المهمة في الحياة ولا تترك له مجالاً ليقرر عن نفسه. تذكرت أمي وخالتي وإصرارهما على ارتباطي بابن خالتي وليد، وكيف أني منساقة نحو ذلك القرار فقط لأن أمي تريد ذلك بالذات، بعد أن تزوجت أختي الكبرى بسفير وهاجرت معه إلى حيث يعمل، وأخي الأكبر تزوج وانخرط في همومه وهموم أسرته وأصبحنا لا نراه هو الآخر إلا في الأعياد والمناسبات أو حين أتصل به أنا وأذكره أن يأتي ويسأل عن أمه.

تنوح أمي كلما أنهت مكالمة هاتفية مع أي منهما "لا أريد أن أخسركِ أنتِ أيضاً" ..

فتقتلني بتلك الجملة، وأعرف أن سبباً كبيراً من إصرارها على إتمام هذا الزواج هو ليس إعجابها بابن أختها، ولكن كانت رغبتها في أن أبقى قريبة منها ومن أبي.

- في ماذا سرحتِ؟

قطع تفكيري، نظرت إليه ثم إلى البحر من جديد.

- لا شيء، المنظر هنا جميل، كيف لي ألا أسرح؟!!

– هل أنت متحمسة لرؤية الثلج؟

- بالطبع!

كان بداخلي شعور غريب لا أشعر به إلا حين أكون مع أبي، شعور الفتاة الصغيرة التي تحس بالبرد فيضع أبوها يده حول رقبتها ويضمها نحو صدره ويغطيها بمعطفه حتى تشعر بدفء جسده، في تلك اللحظة وأنا مع سيف على حافة العبارة، كنت أشعر بإحساس تلك الفتاة الصغيرة.

مدّ ذراعيه على جانبيّ جسده وألقى برأسه إلى الخلف وقال:

- من أنا؟ بمن أذكرك؟؟

نظرتُ إليه و لم أفهم ما يريد قوله، هو يمثل أحداً بالطبع، ولكني لم أعرف من!

- هيا!!! من المستحيل أن لا تكوني شاهدتِ فيلم "تايتانِك"، أنا جاك، وأنتِ روز، نسافر على متن سفينة عملاقة وسط المحيط، هيا افعلي مثلي، إنه شعورٌ رائع.

تعجبتُ من خياله الواسع ولكني لم أتردد لأفعل ما يقترحه، مددتُ ذراعي مثله وألقيت برأسي إلى الخلف، شعرت ببرودة الهواء تلفح وجهي، وقطرات المطر الخفيفة تجد طريقها لتحط على وجهي، أخذت نفساً عميقاً، و شعرت بأني أطير.

بعد حوالي ساعة من وجودنا في البحر، أعلن منظم الرحلة أننا على وشك الوصول، وأن الحافلات ستكون في استقبالنا عند الميناء لتأخذنا إلى محطة التلفريك ومن هناك إلى الجبل، وبعد ذلك سنقوم بجولة في مدينة بورصة، ثم سيكون هناك وقت ليفعل كل منا ما يريد حتى موعد التجمع الساعة الثامنة مساءً.

كانت سعادتي لا توصف، تعرفت على فتيات من اليونان جئن وحدهن للسياحة قد كانت المرة الأولى لهن في تركيا، فشعرت بالراحة بأني لستُ الوحيدة عديمة الخبرة هنا. حان موعد النزول فتوجهنا نحو الحافلة، جلستُ بجانب إحدى الفتيات اليونانيات بعدما استأذنت سيف، لم أكن أرغب في أن أجلس بجانبه في الحافلة كنت مستمتعة بحديث اليونانيات ولهجتهن المميزة حين يتحدثن باللغة الانجليزية. لم نتوقف عن الكلام طوال الرحلة، كنّ يسألنَ عن بلادي وأسأل عن بلادهِن وطريقة الحياة هناك ووعدتُهن أن آتي لزيارتِهن في اليونان إن سَنحت لي الفرصة. ثم نظرت إلى سيف وقلت "هذا إذا اختارني مديري للسفر في رحلة عمل مرة أخرى"

فضحك سيف من بعيد، ثم نظر لي نظرة توعدية بسبب أني لم أجلس بجانبه، جلس بجانبه رجلٌ كبير في العمر من ألمانيا لم يتوقف عن الحديث هو الآخر بلغته الألمانية التي لا يفقه فيها سيف شيئاً.

كانت الفتيات منبهرات كيف أن مديري يأخذني في رحلة سياحية خاصة، ولكني شرحتُ لهنّ أمر هذه الرحلة، وكيف أنها كانت من المفترض أن تكون رحلة جماعية. كنّ يدعونه بالساحر لأنهن كما يقلن عنه "ساحر الجمال"، وكنت أقول له أنه لا يجب عليه أن يصدقهن فهو معتدل الوسامة فقط!! ضَحكتُ كثيراً ومرت السّاعتان وكأنها دقائق.

وحين وصلنا إلى المحطة، وقفنا ننتظر منظم الرحلة ليقطع تذاكر ركوب التلفريك.

- هذه أول مرة أركب فيها التلفريك.
- هي رحلة تحقيق أمنيات مريمإذاً.
- بالضبط.

دخلتُ مع سيف والفتيات اليونانيات في عربة واحدة، وانطلقت بنا إلى الأعلى، شعرتُ بدوار في بادئ الأمر، وحاولت عدم النظر إلى الخارج حتى لا أشعر بالرعب، فنحن معلقون بين السماء والأرض بحبل من الممكن أن ينقطع في أية لحظة.

- تعالي وانظري الى الخارج.

طلب مني سيف وبالفعل اقتربت بتردد ونظرت من النافذة، شعرتُ بيده جاهزة خلف ظهري خوفاً منه أن أقع. كان المنظر لا يوصف، رأيت قمم الجبال مغطاة بالثلج كما وصفها لي بالضبط، ولكنها بدت مرتفعة وبعيدة جداً.

- هل سنصل هناك؟؟

أشرت إلى تلك الجبال البعيدة.

- سترين قريباً.

كنتُ في قِمة حماسي وسرعان ما زال شعوري بالدوار، ولم أتوقف عن النظر إلى الخارج من شدة انبهاري بالمنظر الخلاب. كان ارتفاعنا شاهقاً، السماء الصافية، الأشجار خضراء، وأشعة الشمس تسقط على القمم البيضاء فتزيدها جمالاً وتجعلها تبدو وكأنها لوحة فنية مرسومة وليست حقيقية. التقطت العديد من الصور ولكني كنت أظن أن الصور ليست كعيني، كم كنت أتمنى لو أن عيني هي من تلتقط الصور وليست عدسة الكاميرا.

أوقعت الكاميرا مرات عدة، ثم فتحت حقيبتي لأخرج هاتفي لألتقط المزيد من الصور فتتساقط حاجياتي من الحقيبة، وسيف المسكين يعيد الأغراض الواحد تلو الآخر للحقيبة، كان بمثابة الحارس الشخصي معي، واليونانيات ينظرنَ إلينا وكأننا عصفورا محبة، كان أمراً محرجاً ولكنه مسلٍ جداً..

شارف موعد النزول واقتربت اللحظة التي انتظرناها طوال الرحلة، الوصول الى قمة الأولودوغ ورؤية الثلج. قال لي سيف بحماس.

- حان الوقت، استعدي.

- لا تقلق.. أنا في قمة استعدادي.

وقفت مذهولة بمجرد خروجنا من العربة، خُطفت أنفاسي من ذلك المنظر، نظرت إلى سيف وهو يقف الى جانبي ينتظر مني أن أقول شيئاً، ولكن لساني عجز عن الكلام.

"سيف"

لم أرَ في حياتي أحداً مبهوراً بأي منظر مثل انبهار مريم بمنظر الثلج. كنت أشعر بأنها تريد أن ترتمي بين أحضاني لتشكرني، ولكنها تفعل المستحيل لتتمالك رغبتها في ذلك. تحركنا مع المجموعة، كانت مريم تركض أمامي ثم تقف لتنظر وتتأكد أني وراءها، ثم تعود للوراء لتمشي إلى جانبي.

افترقت المجموعة حين وصلنا إلى المكان المطلوب، كلٌ منا يمارس النشاط الذي يعجبه، إما التصوير، التزلج، أو الاستمتاع بالمنظر فحسب، وهناك ركضت مريمأمامي من شدة حماسها وفجأة زلقت قدماها بسبب حذائها غير المناسب، ووقعت على الأرض.

لم أستطع أن أتمالك نفسي وانفجرت ضاحكاً عليها ثم ركضت محاولاً مساعدتها. حاولت كتم أنفاسي لأتوقف عن الضحك ولكن دون جدوى، نهضَت من مكانها وأخذتُ أنا حقيبتها من الأرض وأبعدت بقايا الثلج عنها، نظرت إليّ بابتسامة ووجنتيها محمرتين من الخجل فلم أكن أستطيع الاحتمال أكثر، انفجرت في وجهها ضاحكاً من جديد.

- أنت شرير! لا تضحك عليّ.

- يا ليتني التقطت لكِ صورة، أول لقاء بينكِ وبين الثلج، كان لقاءً حميماً جداً.

قطبت حاجبيها ثم ابتسمت وبدأت تنفض بقايا الثلج من على معطفها، مدت لي يدها لتأخذ حقيبتها

- اتركيها معي، أظن أنها بأمان أكثر معي.

- أتمنى لكما قضاء وقت ممتع إذاً.

ضحكنا ثم تحركنا باتجاه مكان استئجار الزلاجات الثلجية، اختارت مريمزلاجة كبيرة، ولكني لم أسمح لها بذلك.

- لم تقودي واحداً مثلها من قبل، لا أظن أني سأطمئن إن ركبتِ هذه، ما رأيك بهذه الصغيرة؟

نظرت باستغراب واستنكار!!

- إنها خاصة بالأطفال، هل تمزح معي؟!!

- كلا أنا متأسف، إما ذلك أو أن تركبي خلفي ولا أظن أنك ستوافقين.

كم كنت أتمنى لو أنها توافق أن تركب خلفي وتلف يديها خلف خصري، كم سيكون ذلك عظيماً، ولكنها أطلقت تنهيدة طويلة بعصبية وذهبت إلى الزلاجة الصغيرة، لم أتوقع أن تطيع أوامري من أول مرة، ولكن قبل أن أشعر بذلك الفخر قالت:

- لا تفرح كثيراً فأنا لم أوافق لأنك طلبت ذلك، أنا فقط لا أريد أن يحصل لي شيء يعكر صفو الرحلة.

- المهم أني مطمئن، لا أهتم لأسبابك!!

العين بالعين يا مريم، انطلقنا بالزلاجتين الصّغيرتين، كان حجمي كبيراً جداً بالنسبة للزلاجة ولكني لم أهتم، تركتها

تقود أمامي لأطمئن أكثر وبدأنا الجولة. كانت ابتسامتها عريضة طوال الوقت، وكان غطاء رأسها يكاد ينزلق من إثر الهواء ولكنها لم تسمح له.

كانت تصرخ بين الحين والآخر من الفرحة أو لتطلب مني أن أقود بسرعة أكبر، قضينا وقتاً ممتعاً، حاولتُ أن أمنعها من أن تبتعد كثيراً ولكني لم أستطع، فقد كانت في قمة جنونها، لم أستطع أن أكبح حماسها طالما أني كنت خلفها كظلها.

- انظر هناك!! آثار أقدام.. ربما سنلاقي ذئباً أو دباً هنا!

- لا لا أظن أننا بعيدان لهذه الدرجة.

- ماذا لو ضعنا في الثلج! كما يحصل في الأفلام، ثم يرسلون فرق البحث لتحاول إيجادنا، كم سيكون ذلك كفيلم أكشن مخيف؟!

كم كان خيالها واسعاً، تتخيل وترسم صوراً ثم تشعر بالحماس مع تلك الصور وكأنها حقيقية، أكملت مسيرتها وانطلقتُ خلفها .

- هيا أسرع يا سيف!!

صرخَت بصوتٍ عالٍ

- ابدئي بالرجوع هيا! ستنتهي السّاعة قريباً، يجب علينا العودة.

كأنها تقود فراري التفت كالمجنونة فانقلبت الزلاجة وطارَت مريممن فوقها وارتمت على الثلج.

- مريملا!!

توقفتُ على الفور وركضتُ باتجاهها، ابعدتُ الزلاجة بعيداً وأمسكتُ يدها لأرفعها عن الأرض.

- هل أنت بخير!؟ هل تستطيعين الوقوف؟

حاولت الوقوف ولكنني لم أترُك يَدها إلى أن تأكدت أنها متوازنة.

- أنا بخير.. آاه.. أظن أني كنت مسرعة أكثر من اللازم.

- إنها غَلطتي، ما كان يجب أن أسمح لكِ أن تقوديها وحدك، كدت تتسببين لي بسكتة قلبية، الحمد لله.

أجلستُها على الزلاجة ونفضتُ الثلج من عليها.

- تستطيعين الرجوع؟؟ أو أتصل بالمحل ليرسلوا لنا المساعدة.

- لا لا أنا بخير حقاً، أستطيع أن أقود.

- وقدمكِ؟؟ سآخذك لمركز الإسعافات الأولية.

- كلا لقد التوَت قليلاً لكني بخير، لا تعكر صفو اليوم أرجوك، لا داع للمستشفيات.

- حسناً، أريني أنكِ تستطيعين القيادة.

بالفعل تحركَت أمامي، ثم ركِبتُ زلاجتي وانطلقتُ بمحاذاتها

- لا تسرعي أبداً.

- حسناً أنا آسفة.

كنت أنظر إليها كل دقيقة لأتأكد أنها لا تتألم، وما إن وصلنا للمتجر وأعدنا الزلاجات حتى طلبتُ منها المجئ معي إلى مركز الإسعافات:

- تعالي، هنا مركز الإسعافات.

- سيف أرجوك أنا بخير صدقتني

- فقط لنطمئن، أعدكِ.

مشَت خلفي متثاقلة، عاينها الطبيب وربط قدمها برباطة فقط فلم يحدث لها شيء والحمدلله.

انطلقنا بعدها وركبنا التلفريك الصغير هذه المرة، أردت أن آخذها إلى المقهى الخشبي الذي يقع في أعلى القمة، لتستمتع بالمنظر من الأعلى ونتناول شيئاً سريعاً قبل أن ننطلق لبيت كريم وجوليا.

اخترتُ أن نجلس هناك على طاولة في ساحة المقهى الخارجية المطلة على منظر خلاّب للجبال البيضاء، طلبتُ لنا شوكولاتة ساخنة وكرواسون، لأني أعرف أن مشروب الشكولاتة الساخنة الذي يقدم في هذا المكان رائع بالفعل.

- كيف هي قدمكِ؟

- كيف أستطيع إقناعك بأني بخير؟ لا تقلق أرجوك، وانظر لهذا الجمال، يا سبحان الله!

وصَلت مشروبنا وارتشفَت منه مريمرَشفة صغيرة ثم فتحت عينيها الواسعتين وقالت:

- هذا ألذ كوب شوكولاتة ساخنة تذوقته في حياتي.

- ربما لأنك تشعرين بالبرد فقط.

- لا لا جربتُ الكثير من مشروبات الشكولاتة ولم تكن كهذا أبداً! شكراً جزيلاً.

- هذا جيد إذاً! تناولي طعامك هيا، لدينا الكثير لنفعله.

ابتسمت وقَضمت من الكرواسون ونظرت للخارج.

- آآآآه يا سيف! أنا أقضي وقتاً ممتعاً.

- أنا مستمتع أكثر منكِ صدقيني.

جلسنا بهدوء نستمع لصوت جون ليجند يغني، الأغنية التي كلما سمعت كلماتها، تمنيتُ لو أني أحب أحداً أستطيع أن أمنحه ذاتي كلها، تمنيتُ لو اني أحبُ أحداً بكل تفاصيله، بأخطائه و زلاته، لم أشعر بكلمات الأغنية تتسلل إلى خاطري من قبل كما شعرتُ بها اليوم و انا مع مريم :

" 'Cause all of me

Loves all of you

Love your curves and all your edges

All your perfect imperfections

Give your all to me

I'll give my all to you

You're my end and my beginning

Even when I lose I'm winning

'Cause I give you all of me

And you give me all of you.

"إنها أغنيتي المفضلة.. " قلت لمريم.

ابتسمت ابتسامة خجلة وارتشفت رشفة أخرى من مشروبها، لم أكن متأكداً من أنها تشعر بما أشعر به، هل يصلها إحساسي واهتمامي بها بالفعل؟ أم أنها سعيدة بالأجواء فقط وليس لأنها بصحبتي؟! تكبر بداخلي مشاعر تجاهها تجعلني أريد أن أبقى معها هنا، بعيداً عن كل شيء، بعيداً عن الناس والعمل، والأهم من ذلك، بعيداً عن الأهل. هنا أنا معها هي فقط نستمتع سوياً، لا أحد يعرفنا ولا نعرف أحداً، لا يوجد من يصدر علينا أحكاماً قاسية، يسقط علينا نظرات غريبة وغير مفهومة.

"نادية" يأتي ذلك الصوت يردد اسمها على مسامعي، لم أكن أريد أن أسمعه أكثر، أريد فقط البقاء هنا مع مريم، أتكلم فتستمع لي، آخذها لأماكن فنستمتع سوياً، أضحك عليها فتغضب، أريد هذه الشخصية الطفولية هنا والجدية في العمل، أريدها بكل تفاصيلها، كيف لي أن أخبرها ذلك! كيف؟!

قطع تفكيري صوت رنين هاتفي، إنها نادية، كيف لها أن تتصل كلما مرّ في بالي اسمها، كنت أريد أن لا أرد، وعزمت في قرارة نفسي أني سأكلم أمي حالما أعود إلى البلاد بأني لا أستطيع الاستمرار في علاقتي مع نادية، وأقوم بخطبة مريمحتى تكون شريكة حياتي، استمر رنين الهاتف حتى بدأت مريمتلاحظ عدم إجابتي، فاستأذنتها و نهضت من مكاني لأبتعد قليلاً وأجبت:

"نادية"

ـ سيف حبيبي، ما أخبارك؟

ـ بخير نادية، كيف حالكِ أنتِ؟

ـ أنا بخير، اشتقت لك، متى ستعود؟

أنظر إلى أمي وهي تهز رأسها بالقبول

ـ تعرفين، غداً مساءً بإذن الله.

ـ كلِّمني حالما تصل، أريد أن أراك.

الخالة صفية ترفع إبهامها لتخبرني أني أُحسن صُنعاً.

سكت سيف ولم يرد، ظننت أن المكالمة انقطعت..

ـ سيف...؟

ـ نعم ..نعم.. أسمعك.. سأتصل بك حالما أصل، سأراكِ قريباً.

ـ حسناً حبيبي، اهتم بنفسك، وعد إليّ سالماً.

ابتسمت الصديقتان أمامي.

ـ مع السلامة.

أقفلت السماعة ونظرت لأمي والخالة صفية.

ـ هل أنتما سعيدتان الآن، هل أستطيع العودة لعملي الآن؟

ـ بالطبع يا ابنتي! قالت الخالة صفية وهي تحتضنني، ثم أكملت

ـ هداكما الله، هكذا يا ابنتي الرّجل يريد من زوجته القليل من الاهتمام والحنان، وسترين كيف أنه سيتغير، سيف ابني عاطفي جداً مثل والده، ستكسبينه بسهولة فقط بالقليل من الحب و الاهتمام.

- الرجال ليس لهم أمان يا خالة، حتى لوكان ابنك، تعلمت ذلك بالطريقة القاسية.

- لا تجمعيهم يا ابنتي، كل إنسان له شخصيته وتربيته، وسيف الآن زوجك ومن حقه عليكِ أن تهتمي به.

نظرتُ إلى أمي، فهي من توصيني دوماً بأن الرجل سيصبح ملكي كلما تجاهلته أكثر، كانت نصائحها تناسب مزاجي في الواقع، لأني وبالرغم من أن سيف رجل به جميع المواصفات، فإني لا أشعر تجاهه بأي شعور غير أني أتقبله وحسب، أو ربما أنا التي لا أريد أن أسمح لنفسي بأن أشعر بأي شعور آخر فيفعل بي كما فعل سالم من قبل، وأنجرح الجرح ذاته، ولكنه في النهاية رجل وافقت على الزواج به، ويجب أن أفعل المستحيل كي أحافظ عليه.

تركتهما وعدت مضطرة إلى المدرسة، كم أكره الوجود هناك!! أستغل كل حصة فراغ عندي لأعود إلى البيت هرباً منها، لم أرغب أبداً في العمل كمُدرسة تاريخ وجغرافيا، ولكن تخصص التربية هو التخصص الوحيد الذي سمح لي أبي بأن أتخصص به، والعمل كمدرسة هو الشرط الوحيد عنده إذا أردت العمل وإلا فعلي البقاء في المنزل حتى الزواج. حتى إخواني حين قرر الاثنان الزواج، كان شرطهما فيمن سيتزوجانها أن تكون إما ربة منزل، أو تعمل مدرسة. لم أكن سأفكر في العمل لو أني كنت قد تزوجت وأنجبت أطفالاً من قبل، ولكن الفراغ الذي كنت أعيشه في المنزل

كاد يقتلني، وتحكم أبي وإخواني كتم على أنفاسي، فأصبحت أريد العمل فقط لأجد حجة لأخرج من البيت وأكلم أناساً آخرين، ولكن كانت خطتي بأني سأترك الوظيفة حالما أتزوج لأكون ربة بيت أربي أطفالي، ويكون لديّ تلك الحرية التي عند النساء المتزوجات اللواتي يخرجن دون أن يكلمهنّ أحد غير أزواجهنّ.

أعرف أن سيف به مميزات كثيرة تحلم بها أي فتاة، ولكني لا أرى تشابهاً في الاهتمامات بيننا، وحين أخبر أمي بذلك، تقول لي بأن ما أفكر فيه تفاهات ولا يعتبر من أساسيات الزواج، وأن أهم ما في الأمر أن سيف إنسان محترم وخلوق ومن عائلة جيدة، ويستطيع أن يصرف عليّ.

أفكر دائماً أهذا بالفعل كل ما في الارتباط؟ ولكن ماذا عن الانسجام؟ ألا يجب أن يكون بيني وبين من سأرتبط به بقية حياتي حَلقة وصل نستطيع أن نلتقي عندها أنا وهو؟!

أسأل صديقاتي هل أحببنّ أزواجهنّ قبل أن يرتبطنَ بهم؟ فتقول لي إحداهنّ إن الحب شيء لا يتكون بين الأزواج وإنما هي العشرة والتعود، وأسأل أخرى عن الاهتمامات المشتركة بينها وبين زوجها، فتقول لي إن اهتماماتها مختلفة جداً، ولكنهما قد تعايشا مع بعضهما، وحين أكلم أمي وأسالها عن الحب والألفة، تقول لي إن كل شيء ممكن أن يحدث بعد الزواج، وأن المرأة لا يجب أن تتكلم

في هذه الأمور في مرحلة الخطبة أو عقد القران. ربما هي محقة، فكلامي مع سالم كان السبب الرئيسي في انفصالنا، لذلك أطيع كلام أمي في هذا الأمر.

"مريم"

انطلقنا بعدها لزيارة صديقين لسيف يدعوان كريم وجوليا، ونحن في الطريق، قصّ عليّ سيف قصتهما، وكيف أنهما حوّلا منزلهما الخاص الذي يقع فوق الجبل لفندق لاستقبال الزوار، فالزائر الذي يسكن عندهما، يستطيع استئجار غرفة، وبذلك يعيش معهما في المنزل ذاته، ويحظى بفرصة تناول الإفطار التركي الذي تحضره جوليا يومياً لزوار المنزل.

لم أكن أعرف أن شيئاً كهذا موجود، وكان بالنسبة لي شيئاً مشوقاً جداً أن تعيش مع أناس من البلد نفسه، وتتعرف على ثقافتهم وطريقة عيشهم، ولكن ما أبهرني أكثر هي العلاقة التي

تربط الزوجين ببعضهما البعض، فكريم لا يفعل أي شيء إلا بعد أن يستشير جوليا، يساعدها في أعمال المطبخ، وتساعده في أعمال الزراعة، يملكان حديقة رائعة أمام منزلهما، وكأنها جنة من جنان السماء يعتنيان بها معاً، خُضرتها تشرح النفس، وبها أشجار متنوعة وأزهار ملونة تجعلك تشعر وكأنك لست في هذا العالم.

رحّبا بنا كثيراً وجلسنا جميعناً في الحديقة نتحدث معهما وتعرفت عليهما أكثر، أحببتهما كثيراً وشعرت بأني أعرفهما منذ زمن، وشكرت سيف كثيراً أنه عرفني عليهما.

سألتهما كيف تعرفا على بعضهما، فترك كريم المجال لجوليا لتقص القصة ونحن نستمع. أخبرتني أنها تعرف كريم منذ كانا أطفالاً يلعبان في حارة واحدة، أحبها منذ اليوم الأول الذي رآها فيه، وكان يطلب منها الزواج منذ كانا أطفالاً وحتى عمر الشباب. حاول كثيراً أن يتزوجها ولكنها كانت ترفض ذلك، وتطلب منه الانتظار إلى أن كبرت ونضجت واقتنعت بأنها تريد أن تكمل حياتها معه، وأنجبت منه طفلاً واحداً هو الآن شاب يدرس في الجامعة.

ذكرتني قصتهما بنفسي وحكايتي بوليد كثيراً، فحالتي كحالة جوليا بالضبط، ولكني لم أقتنع بأن وليد هو من أريد أن أرتبط به، وأكمل بقية حياتي معه خصوصاً بعد أن تعرفتُ على

سيف وشعرت بما يسمونه الإعجاب والتعلق بشخص آخر، ولمست اهتمام شخص بي للمرة الأولى في حياتي.

بالرغم من أني أعرف الكثير عن وليد، ما يحب وما يكره، ما يغضبه وما يسعده، اهتماماته ورغباته، وفي المقابل لا أعرف الكثير عن سيف، ولكني لم أشعر يوماً أن وليد يهتم بي كما فعل سيف في هذه الأيام القليلة... شتان بين الاثنين!!

أصرّ كريم وجوليا علينا أن نبقى، وسيحضران لنا "شواء كريم الفاخر" كما تصفه جوليا، وبعد مشاورات طويلة اقتنعنا أن نبقى ونشاركهما الغداء، فانطلق الاثنان في تجهيز لوازم الشواء، وتركانا لنستمتع بجمال حديقتهما.

- ما رأيكِ بهما؟

- من! كريم وجوليا؟ إنهما لطفاءٌ جداً، وكأنهما خرجا من مسلسلٍ كرتوني، كل ما هنا يشبه الكرتون الذي كنت أشاهده في صغري يا سيف، الحياة الريفية البسيطة، عجوز وزوجته يعيشان فوق الجبل، جبال تغطيها الثلوج مثل التي في هايدي. طيور النورس تجلس على صخور الشاطئ، كل ما هنا جميل وحالم.

كنت لا أبالغ بمشاعري، ولا أقول ذلك حتى أجعله يصدق أني كنت مستمتعة بالرحلة، فقد كنت بالفعل مستمتعة لدرجة أني نسيتُ أنه مديري، نسيت أني من المفترض أن أكون في رحلة عمل،

نسيتُ تحفظات العائلة والمجتمع، حتى أني نسيت نفسي ومبادئي ومعتقداتي وأنا معه، لم أفكر بشيء إلا أني أريد أن أستمتع باللحظة التي كنت فيها في ذلك الوقت.

وقفنا في حديقة المنزل التي تطل على بورصة بأكملها، وكان منظراً يخطف الأنفاس.

كيف لكريم ألا يعيش قصة حب مع جوليا كل يوم، وهما يستيقظان كل يوم على منظرٍ كهذا.

- سيف.

- نعم.

- هل تؤمن بالحب؟

- بالطبع، ومن منا لا يؤمن به.

- لا أدري، لا أصدق أن هناك شباناً في زمننا هذا يؤمنون بالحب الحقيقي.

لم يرد عليّ، فأكملت:

ـ أشعر بأن الرجال ينظرون للفتاة وكأنها شيء بدون إحساس، كل ما أشاهده في المسلسلات الأجنبية والأفلام لم أره على أرض الواقع، لا مع أمي وأبي، ولا مع خالتي وزوجها، ولا مع أي من إخواني شريكات حياتهم، كل من أعرفه تزوج لأنه كان عليه أن يتزوج في ذلك العمر، ليس لأنه يريد الارتباط بشريك حياته.

تنهد تنهيدة طويلة.....

ـ الوقت الذي قضيته معك الآن، لا أدري ما المفترض بي أن أشعر؟! أعرف أنه من الغباء أن أقول لكَ كلاماً كهذا، أو ربما تصفه أنت بالوقاحة، ولكني لا أحب عدم الوضوح، في الحقيقة، لا أعرف ما الذي سيحصل بعد أن نعود إلى البلاد.

رفعت عيني عن المنظر ثم نظرت إليه، كنت أريد أن أعرف ما يفكر به، وأخشى أني تسرعت بمصارحته.

– ما الذي تريدينه أن يحصل يا مريم؟

لم أجاوبه، تمنيت لو أنه فهم سكوتي لأني أردت أن أصرخ وأقول له، أريد أن تكون زوجي، أريد منك أن تكون أباً لأولادي، أريد أن أكون معك في حلك وترحالك، أريدك بكل ما فيك، رأيت خيال ابتسامة تظهر على وجهه، هل سمع ما أفكر به يا ترى! يا إلهي ساعدني، لم أعد أحتمل وجودي معه أكثر.

ـ سنكون معاً، سنبقى معاً، سآتي لأبوكِ وأقول له أني أريد ابنتك لتصبح شريكة حياتي على سنة الله و رسوله، أحببتكِ يا مريم و أريدكِ أن تشاركيني حياتي، طبعاً إذا رغبتِ في ذلك.

صدمني كلامه الذي ظل يتردد كالصدى في مسامعي "أحببتك يا مريم" كانت تلك أول مرة أسمعها في حياتي "أحببتك".. هل يعقل حقاً أن يحب المرء أحداً في أيام قليلة!! ويعترف له بهذه السرعة وهذه الصراحة؟! لا أستطيع تصديقه، في هذه الأيام عرفتُ أن سيف مجنون ولكن ليس لهذه الدرجة، هل حقاً أحبني ويريد الارتباط بي؟ مستحيل! أنا متأكدة أنه متأثر بالرحلة والأجواء التي نحن فيها، وسيعود إلى رشده حين نعود و يغير رأيه.

- أنت مجنون !! قلت له و أنا ابتسم بخجل.

- هذا جنون العاشقين.

ابتسمتُ وقلت له:

- هذه إحدى أغاني أنغام، انتظر

ثم بحثتُ في هاتفي حتى وجدتُ الأغنية، وشغّلتها:

قلي بحبك والحقيقة.

إنه عرفني من يومين

ودي تبقى جرأة و إلا طيبة

و إلا جنون العاشقين

بقينا على الحافة نستمع لصوت أنغام الرقيق ونستمتع بالنسيم العليل، ابتعدتُ عنه قليلاً وتمشيت حول الحديقة أنظر للأزهار المتنوعة.

مسك إيديه وقلي شوفي
إنتي عملتي ف قلبي إيه
فضلت ساكتة من كسوفي
ما بقتش عارفة أقوله إيه

كان سيف يستمع للأغنية بتعجب، فقد كانت تصف ما نشعر به تماماً، تركت أنغام تغني، وأنا أتمشى حول الحديقة حتى رأيتُ أرجوحة معلقة على شجرة ضخمة على التلة، فانقطعت اللحظة الرومانسية التي كنا غارقين فيها وصرختُ:

- سيف أنظر!!!! إنها أرجوحة!!!! على شجرة!!!ألم أقل لك أني أشعر وكأني في مسلسل كرتوني!! يالله.

ركضتُ إليها وركبتُها وبدأتُ أتأرجح عالياً، كنت أتأرجح فوق الجبل، فشعرتُ وكأني أطير في السماء.

- مريمانتبهي أرجوك. صاح سيف محذراً

- سيف!! أنا أطير!! يجب أن تجربها!!! ووووووهووو.

كنت أراه يقترب مني وهو قاطبٌ حاجبيه، كما فعل في الجبل مع الزلاجات، كم يشعرني وكأنه أبي في بعض الأوقات، ذلك الشعور كان أكثر ما يجذبني فيه، خوفه عليّ وإحساسه بالمسؤولية تجاهي، كنت أشعر اني بأمان معه.

- هيا مريم! توقفي! أو خففي سرعتك

- كلا!! لا تستطيع إجباري، ابتعد وإلا صدمتك!!

أحاول استفزازه وأعلم أنه على وشك الانفجار ولكني لم آبه به، عقد حاجبيه ووضع يديه على خصره ينتظرني أتوقف.

- تأرجحي ببطء والا قُطع الحبل أو ربما الغصن بأكمله، لا تريدين أن تقعي على وجهك وتكسرين قدماً أو يداً ولا تستطيعين العودة إلى المنزل.

كلامه صحيح، أكره حين يكون على حق، بدأتُ أبطئ أرجوحتي حتى توقفت كلياً.

- هل أنت سعيد؟

نادت جوليا من بعيد

- هيا الشاي جاهز.

- نعم بالطبع.

ولبينا نداء جوليا.

- في الواقع تلك الأرجوحة لا يمكن أن تقع أبداً فهي من صنع كريم وهي قوية جداً.

ضحك وركض أمامي! يا له من مخادع!!

شربنا الشاي التركي جميعاً، ثم ذهب سيف ليساعد كريم في تحضير الشواء، وكنت وجوليا ننظر إليهما من بعيد، كانت الشمس تقترب من الغروب، تنزل تدريجياً خلف الجبال حتى أضفت على السماء لوناً برتقالياً رائعاً. شارفت الرحلة على الانتهاء، كم هو حزين حين تنتهي اللحظات الجميلة سريعاً.

- جوليا.. شكراً جزيلاً على استقبالنا في بيتكِ.

- إنه من دواعي سرورنا، سيف عزيز علينا ونحنُ نعتبره مثل ابننا، لقد جاء وسكن في منزلنا مراتٍ عديدة حين كان يدرس هنا، أنت محظوظة جداً به.

ماذا تقصدين محظوظة به؟! هل تظنين أن بيننا شيئاً ما؟ هل نبدو كذلك فعلاً؟ هل أخبرها سيف بشيء؟!

التقطت لكريم وسيف العديد من الصور وهما منهمكان في الشواء، وبالرغم من أنني لم أحب اللحم التركي كثيراً، إلا أن الشواء بالفعل هناك كان لذيذاً، لا أدري إن كان سبب شهيتي المفتوحة هو جمال المكان أم وجودي مع سيف؟!

ودّعنا كريم وجوليا ووعَدتهما أني سآتي يوماً ما مع عائلتي لأسكن في فندقهما المتواضع، وتبادلنا الأرقام حتى نبقى على تواصل دائم، ثم أسرعنا إلى السيارة لنصل الى الميناء في الوقت المناسب.

لم نتكلم نحن الاثنان طوال الطريق نحو الميناء. كان سيف يجلس بجانب السائق وأنا في الخلف، كلٌ منا هائمٌ في ملكوته،

أظن أن كلاً منا يعرف أن الرحلة انتهت ويفكر، وماذا الآن؟ هل حقاً سيأتي ليخطبني من أبي حالما نعود؟ أم أنه قال لي ذلك لأني واجهته بالسؤال ولم يعرف بماذا يجيبني؟ هل معقول أن ينتهي كل شيء بمجرد عودتنا؟ أم ستكون هذه الرحلة بداية للحياة التي طالما حلمتُ بها؟ رنّ هاتفي برسالة من ميساء.

كم هي مجنونة ميساء!!

"ميساء"

كم أتمنى لعلاقة مريم وسيف أن تكتمل، لا أريد أن أشعر بالذنب على ما فعلت، لم أكن أقصد ما حدث حقاً. ذهبتُ ذات مرة لزيارة مريم لأعطي خالد أخوها الصغير ألعاب الفيديو التي وعدته بها، ولكني لم أجدها في ذلك اليوم، وأصرت والدتها أن أنتظر وأتناول طعام العشاء معهم، وانتظرت مريم إلى أن تعود مع والدها من مشوارهما.

بينما كانت تحضر طعام العشاء، ذهبتُ إلى غرفة خالد لأعطيه الألعاب ورأيته يلعب لعبة إلكترونية أحبها جداً. أنا أملك أحدث الألعاب الإلكترونية الخاصة بـ (البلاي ستيشن)، وأعرف فيها ما لا يعرفه أحد، نشأتي مع أربعة صبيان كونت فيّ اهتمامات غريبة من النادر جداً أن تجدها في أي فتاة.

أستطيع أن أقضي يومي كاملاً ألعب الألعاب الإلكترونية، أو أسهر طوال الليل لأنتظر بفارغ الصبر مباراة بين ناديين عالميين، أملك أحدث أجهزة الاستقبال لأحظى بفرصة المشاهدة الحية لجميع المباريات.

جلستُ مع خالد في ذلك اليوم ولعبت معه لمدة ساعة تقريباً، ثم أخبرني أن وليد قد أرسل له طلباً عبر اللعبة ليلعب معنا، أخبرته ألا يقول له إني هنا، وأخذت منه جهاز التحكم وبدأت ألعب مع وليد، وخالد هو من يكلمه عبر السماعات، حطمت وليد وفزت عليه أكثر من أربع مرات حتى كاد يفقد عقله.

فُضح أمري حين تأكد وليد أنه لا يلعب مع خالد، فأخذت السماعة من خالد وتكلمتُ معه:

- ألا تخجل أن تهزمك فتاة؟! أنت سيئ جداً في هذه اللعبة.

توتر قليلاً في البداية ولكن غضبه لهزيمته أعماه.

- إبدئي لعبة جديدة.

- لا أريد أن أحطم كبرياءك مرة أخرى يا عزيزي.

ولعبنا مرة أخرى، فاز عليّ مرة وفزت عليه ثلاث مرات على التوالي، ثم نادتني أم مريم لنتناول العشاء. طلب مني وليد حسابي الخاص لنكمل التحدي في وقت لاحق، وكان ذلك أول اتصال بيننا.

منذ ذلك اليوم ونحن نقضي ساعات طويلة، نتحدث، نلعب، ونشاهد المباريات. كنت أسجل له أحدث المباريات، أكلمه عن أهم الأندية الرياضية، ويكلمني عن السيارات وآخر صيحاتها، أكلمه عن مغامراتي في أسفاري مع أمي وأبي، والتجارب التي جربتها، ويخبرني هوعن أسفاره وماذا يفعل مع أصدقائه.

كنا نتشابه كثيراً في الاهتمامات، لا أنكر أني كنت قد رأيت فيه الإنسان الذي يفهمني، يعرف أن اهتماماتي شيء، وأنوثتي وشكلي شيء آخر، لم أكن أعرف أن علاقتي مع وليد من الممكن أن تتطور لأكثر من تلك الصداقة، ولكنها فعلت. كان وليد مندفعاً جداً بمشاعره، قال لي إنه يحبني بعد أسبوعين من بدء علاقتنا،

ظننتُ أنه يمزح في البداية فاستهترتُ بكلامه حتى غضب مني فتأكدتُ أنه جاد، دون أن يكترث بأمر خطبته بمريم، بل بالعكس، كان صريحاً جداً معي وأخبرني أنه لم يشعر قط مع مريم بما يشعره معي، ويقول لي إنه لطالما شعر تجاهها بمشاعر أخوة أكثر منها حباً، وارتبطا ومع ذلك كان مستمراً في الأمر خوفاً من غضب أمه وخالته.

كنت قد أحببته بالفعل، ولكن تبقى مريم في مخيلتي، وكنتُ أشعر بأني خائنة لصديقتي وابنة عمي، بالرغم من أني أكثر إنسانة تعرف رأي مريمفي موضوع ارتباطها بوليد. لكن الآن، وبعد أن سمعت كيف تتكلم عن سيف، لا أشعر بأني أفعل شيئاً خاطئاً، فهي بالفعل لا ترى في وليد زوجاً لها.

"سيف"

وقفتُ على حافة العبارة وهي تعود إلى إسطنبول، جمال البسفور في الليل مختلفٌ جداً عن جماله في النهار، انعكاس ألوان الأضواء من جسر البسفور على الماء، يمنحه جمالاً غير عادي وكأنه رسمة فنية.

كان الجو بارداً جداً، ولكن مريم رفضت الجلوس في داخل الحجرة، تقول إنها آخر جولة لها هنا وتريد الاستمتاع بها إلى آخر رمق لها، كم أحب شغفها للاستمتاع بجمال الأشياء من حولها حتى وإن كانت بسيطة، تعيش اللحظة التي تمر بها بكل ما تستطيع.

- أليس المنظر خلاباً؟!

- لأبعد الحدود، سيف شكراً جزيلاً على الرحلة، كانت رائعة جداً.

- أنا سعيد أنها أعجبتك، لو كان لدينا المزيد من الوقت لكنا زرنا أماكن أكثر في بورصة.

ثم مددت لها هدية كنت قد اشتريتُها لها من محل الهدايا، صندوق موسيقى بحجم اليد، مرسوم عليه الرجل التركي، برج غلاطة وقارب، كنت أريدها أن تمتلك تذكاراً لهذه البلد، أو ربما لهذه الرحلة بالذات.

أخَذَته مني وكادت عيناها تدمعان حين رأته، خفت أن تقفز عليّ وتلف يديها حول عنقي، ولكنها لم تفعل، كم تمنيت لو فعلت!!

ـ هذه أجمل هدية يا سيف.. شكراً... لقد.. لقد فاجأتني بها بالفعل.

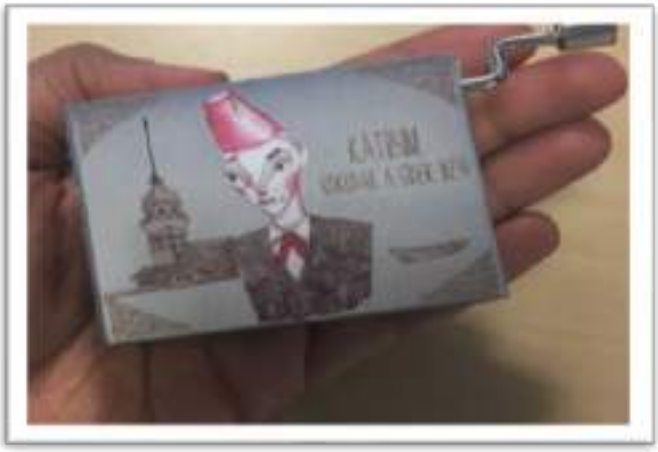

أمسكت بها والتقطت لها صورة كعادتها، ثم شغلت صندوق الموسيقى وانطلقت منه موسيقى هادئة مريحة. وقفنا ننظر إلى البحر ونستمع إلى الموسيقى ونحن نبحر عبر البسفور. بذلتُ مجهوداً كبيراً في مقاومة نفسي ألا أقترب منها أكثر وأمسك بيدها، كنت أريد أن أمسك بإحدى يديها وأضعها بالقرب من صدري لأجعلها تشعر بضربات قلبي وما يفعله به وجودها بجانبي، كما قالت أنغام في أغنيتها.

قاطعتنا الفتيات اليونانيات ينادين مريم لتنضم إليهنّ، بدأت أسأم منهن فهنّ يقاطعنني في كل مرة أريد أن أبقى فيها مع مريم وحدنا، ألا يعرفن أنها المرة الأخيرة التي أستطيع البقاء معها وحدنا! التففنَ حول مريم يتحدثن ويضحكن وأخذنها إلى جانبهنّ، وبدأن يسألنها أين اختفينا في منتصف الرحلة، وكنتُ أستمع إليها وهي تحكي لهن عن منزل جوليا وكريم.

رنّ هاتفي، كانت نادية!! مجدداً!! لا تتصل لأيام، واليوم بذات اتصلت مرتين في يوم واحد. قررتُ ألا أرد خشيةَ أن تسمعني مريم أتحدث إلى نادية فيُفضح أمري، فقررتُ أني سأرد عليها لاحقاً. استمرت في الاتصال مجدداً، شعرتُ أن أمراً مهماً قد حصل فحاولت أن أنسحب بعيداً، ولكن العبارة كانت صغيرة و لم أجد مكاناً بعيداً أستطيع الاختباء فيه.

- إلى أين؟ سألتني مريم؟

- سأعود حالاً إنه اتصال من العمل.

ابتسمت لي بكل براءة، لا أدري لمَ أفعل بها كل ذلك، كانت المرة الأولى التي أكذب فيها عليها، أجبت نادية:

- مرحباً نادية.

- سيف كيف حالك؟

- اااممم من الصباح إلى الآن، ما زلت بخير، ما الأمر؟

- اااامم، اتصلتُ أخبرك أني وجدت الفستان الذي أعجبني، بعثتُ لكَ بصورته ولكنك لم ترد.

نادية لا تبدو على ما يرام، هناك شيء مختلف فيها، فهي تتحدث بطريقة غريبة، وبهدوء مخيف، ليست كعادتها أبداً.

ـ هذه أخبار جيدة يا نادية، ستكونين أجمل عروس لا تقلقي.

ـ سيف هل فعلاً تظن ذلك؟ أشعر وكأنك لا تهتم.

الآن تأكدت أنها ليست نادية التي أعرفها.

ـ نادية حبيبتي هل أنت بخير؟ لا تبدين على ما يرام؟

ـ أنا بخير يا سيف، أخبرك فقط أني وجدت الفستان، وأنه غالٍ بعض الشيء، وأني أريدك أن تقول بأنك أنت من اقترحه عليّ ولست أنا من طلبته.

ضحكتُ ضحكة كبيرة بصوت عالٍ! نعم، هذه هي نادية التي أعرفها، تلك هي اهتماماتها، حين تريد شيئاً فهي تتحول لحمل ودود حتى تحصل عليه، كنت سأغضب، ولكني تذكرت كلام أمي ووصيتها أن أكون جيداً مع نادية:

ـ حسناً، اشتري ما تريدين يا حبيبتي، ولا تقلقي.

ـ أنت أفضل زوج عل الاطلاق، لا أستطيع الانتظار حتى يجمعنا بيت واحد.

لا أصدق كلامها، ولكني لم أستطع أن أشكك فيه، ربما كانت بالفعل تريد ذلك، وربما هي تمثل لأنها فقط تريد الفستان، ولكني لا أدري بماذا أشعر أنا؟ هل أنجذب إليها هي حقاً؟ أم أني أشفق عليها ولا أيد أن أكسر فرحتها وحماسها بهذا الزواج؟

ـ مع السلامة حبيبتي.

أغلقت الهاتف وبقيت أفكر بكلامها وبماذا يجب أن أفعل مع نادية، والأهم، ماذا أفعل مع مريم؟ نادية زوجتي، وقعت عقداً معها أن أتزوجها وأصونها، أمي هي التي اختارتها لي وتحبها كما لو كانت ابنتها، كيف لي أن أخبرها أني لا أريد الزواج بها هكذا فجأة، و ماذا عن مريم التي غيرت تفكيري عن الحب وأشعلت فيّ ناراً لم أجربها من قبل، لا أريد ان أتركها ولا أريد أن أخسرها، أعلم أني لا أستطيع الحصول على الاثنتين، ولكن كيف أختار؟ و من أختار، أعرف أني لن أستطيع اغضاب أمي في النهاية، و لكن ماذا عن قلبي و ما أشعر به الأن!

- سيف.

صوت من خلفي يتكلم، شعرت وكأن دقات قلبي كادت تتوقف، التفت إلى الوراء ورأيت مريم

- من هي نادية؟

لقد كانت خلفي، هل سمعت المكالمة كاملة؟ ما الذي سمعته يا ترى؟ منذ متى وهي هنا؟ كيف أخرج من هذه الورطة!

- منذ متى وأنت هنا؟

- من هي نادية يا سيف؟

ملامح وجهها لا تطمئن فأنا لم أرَ هذا الوجه من قبل، هل هي خائفة؟ أم مصدومة؟ لا أدري كيف أجيب عن سؤالٍ كهذا؟ هل أخبرها بالحقيقة؟ أخبرها أنها زوجتي وأني أخونها معكِ دون أن أخبركِ أو أخبرها بذلك؟ أخبرها أني كذبت عليها؟ هل أحطم أحلامها وأكسر تلك الروح الطفولية فيها؟ لقد وثقت بي وسافرت معي، ماذا أفعل يا ترى كيف أتصرف؟

- مريم.

أريدها أن تهدأ قليلاً حتى تستطيع أن تستوعب ما سأقول، ولكنها لم تنمحني فرصة.

- سيف! أجبني فقط، كن صريحاً معي أرجوك.

يا إلهي إنها جدية ولن تتحمل المناورات ولا التبريرات، كانت الحقيقة هي الحل الوحيد.

- نادية هي زوجتي..

"مريم"

كتمت أنفاسي ومعها كل إحساسٍ شعرت به في تلك اللحظة، سمعت الكلمة وكأنها سكين قد اخترقت أحشائي.

زوجته!!

سيف متزوج!!

كيف لم أعرف!؟ كيف لم أنتبه!؟ لِمَ لَم يخبرني!؟ لِم خدَعني!؟ لم أصرّ أن يذهب معي في هذه الرحلة!؟ ما الذي كان يريده مني إن كان متزوجاً!؟ ليتسلى فقط؟ هل كنتُ مجرد عابرة سبيل دون أي قيمة أو أهمية؟

لم أمنحه فرصة ليبرر أو يعتذر، وكأني أخرجت قلبي من مكانه ووضعته جانباً، ابتسمت له وقلت:

ـ حقاً! كم أتمنى لو أتعرف عليها، من المؤكد أنها ظريفة ومسلية مثلك.

نظر إليّ بصمت ومازال يريد أن يعتذر، ولكني لم أمنحه سبباً للاعتذار، كسرت جميع الحواجز بيننا، لن أكون تلك الفتاة الضعيفة التي خدعها شخص ظَنت للحظة أنه معجب بها ويريد الزواج منها، أخرجتُ هاتفي وتظاهرت بأني أصور المناظر من حولي غير مبالية بوجوده صامتاً إلى جانبي، أريد أن أثبت له أني لا أهتم، ولكني كنت أشعر بأنه سيغمى علي من الضيق الذي أصابني.

- ماذا ستفعل غداً ..؟ سألته وأنا أصور

- لا أدري، سأستعد للعودة بالطبع، ربما أقابل منظمي المؤتمر لأحصل على تقييمهم، أمور بسيطة إلى حين موعد الطائرة مساءً، لماذا تسألين؟

- كنت أريد أن أسألك عن أرقى الأماكن التي تبيع فساتين الزفاف، طلبت مني أمي أن أزور محال المصممين المعروفين هنا في إسطنبول.

تغير وجهه ولكنه لم يجاوب، بقي صامتاً ينظر إليّ بعينيه العسليتين، تجاهلته تماماً وكأنه لم يكن، كان قلبي ينادني يريد العودة إلى مكانه، ولكني أجبرته على البقاء بعيداً.

سألني بعد طول صمت.

- زفاف من؟

نظرت إليه.

- ألم أقل لك!؟ غريب! زفافي من وليد ابن خالتي، كيف لم أخبرك؟ زفافي بعد أشهر قليلة بإذن الله، لا تقلق سأعزمك أنت و... نادية صحيح؟

- مريم، كفى.

عقد حاجبيه، لن تؤثر فيّ تلك النظرة أبداً، ليس بعد الآن.

- أوه نسيت! تركت الفتيات ينتظرنني هناك.. سأراك بعد قليل.

أخذت قلبي بيدي وركضتُ بعيداً، بعيداً عنه، بعيداً عن خيانته وبعيداً عن كذبه!

كنت أشعر أني لا أستطيع الوقوف أكثر، شعرت وكأن الدنيا اسودت أمامي، لم أعد أرى جمال البسفور ولا روعة الجو، وكأن كل شيء كان مرتبطاً به ومعه، وبدونه، اختفى كل الجمال الذي كنت أراه.

وصلنا إلى الميناء فطلبت من الفتيات اليونانيات أن يوصلنني إلى الفندق، لا أستطيع أن أكون معه أو حتى حوله أكثر.

أردته أن يختفي من الوجود، بدون أن أنظر إلى وجهه لوحت بيدي ناحيته قائلة "إلى اللقاء"..

بقيتُ في غرفتي في الفندق حتى حان وقت الرحيل للمطار، حتى أني لم أبكِ، تجاهلتُ سيف في المطار وفي الطائرة، رغم كل محاولاته للتقرب مني و الكلام معي.

عدتُ الى البلاد وفي استقبالي كانت أمي وأبي ووليد، الذي حين رأيته تذكرت سيف، فانهرتُ بيت أحضان أمي، بكيت كالطفلة أمام جموع المسافرين غير مكترثة أين أنا ومن يشاهدني.

ـ ما بك يا حبيبتي؟ لمَ البكاء؟

ـ اشتقت لكم يا أمي، لا أريد أن أسافر وحدي مرة أخرى.

ـ نوّرت البلاد يا مريم. قال وليد..

نظرت إليه وابتسمت، لا أدري لمَ لم أعرك الاهتمام الذي تستحقه يا ابن خالتي .. أنت هنا بالرغم من أني كنت مع شخص آخر، أنت هنا شيء مضمون أستطيع أن أثق بك، ولن تتركني مهما كان لأنك ابن خالتي.

عدت إلى المنزل واحتضنت أبي وأخي الصغير، هنا.. هنا أنتمي، حقاً كما يقولون، لا تعرف كمية الحب الذي تمتلكه للأماكن والأشخاص إلا حين تبتعد عنهم، حتى وإن كان لأربعة أو خمسة أيام فقط.

حاولتُ جاهدةً الجلوس والابتسام والضحك مع كل من كان في استقبالي في المنزل، وزعت عليهم هداياهم، أجبت عن أسئلتهم عن جمال تركيا والأماكن التي زرتها، لم أتكلم عن بورصة، ولا الثلج، ولا أية عبّارات.

كان القناع الذي كنتُ أرتديه على وشك أن يقع وينهار، كنت أريد فقط أن أنام، أريد أن ألقي بجسدي على سريري وأحتضن مخدتي وأبكي دون أن يراني أحد، وبالفعل، دخلت غرفتي وبكيت كما لم أبكِ من قبل، كنت أشعر بأني لا شيء، مجرد شيء استخدمه سيف ليتسلى في رحلته لحين عودته لزوجته، شعرتُ بأني خائنة لثقة أبي وأمي ووليد، خائنة لزوجة سيف، شعرت أني سيئة، وبذيئة. كل الأحاسيس تقتلني الواحدة تلو الأخرى حتى وقعت ضحيتها ونمت.

كان من المستحيل أن أعود للعمل في اليوم التالي، فقدمت إجازة لمدة أسبوعين لأستريح ولأنسى، لألملم أشتاتي وأقوى على النهوض بنفسي مرة أخرى.

كانت ميساء لجانبي في تلك الفترة، فهي الوحيدة التي كانت تعلم بأمري مع سيف. كنت أتفقد بريد العمل بين الحين والآخر، وفي اللحظة التي رأيت فيها رسالة من سيف بعنوان "أعذريني" مسحت الرسالة حتى قبل أن أقرأ محتواها، وحظرت اسمه حتى لا يصلني منه شيء، لم أكن أريد أن أسمع أي اعتذار منه، أو تبرير أنه كذب علي وغشني بتلك الطريقة، ثم قطعتُ كل اتصال بالعمل ولم أفتح بريد العمل مرة أخرى.

كنت أخشى أنه قد رآنا أحد في تلك الرحلة، فأجد رسالة من أحد المدراء يفصلني من العمل، أو أن تفاجئني إحدى الزميلات الفضوليات لتسألني، ما علاقتي بالأستاذ سيف؟!

"سيف"

حاولتُ كثيراً أن أجد مريم في الشركة، ذهبت للطابق الذي تعمل فيه مرات عدة، لم أخبر أحداً أني أبحث عنها هي بالتحديد خوفاً من إثارة التساؤلات حولها، ولكني كنت أذهب إلى هناك وأتلفت يميناً ويساراً، راجياً أن أجدها تمشي في الممرات، أو ألتقي بها في أحد الاجتماعات.

اختلقتُ سبباً لأجتمع بكل من كان في المؤتمر، بحجة أني أريد أن أعطيهم بعض الملاحظات.

كان اجتماعاً بلا فائدة لأني بالفعل لم أكن أريد أي شيء سوى أن أجد مريم، ولكن دون جدوى، فهي لم تحضر، وحين سألت عن سبب تخلفها أخبروني أنها في إجازة مفاجئة لمدة لا يعرفونها بالتحديد.

شعرت بالذنب الشديد لأني كنت متأكداً أني السبب في إجازتها، لقد دمرت تلك الموظفة المجتهدة بغبائي

وترددي وجعلتها تكره الحضور لعملها.

أرسلت لها العديد من الرسائل الإلكترونية على بريد العمل، أطلب فيها منها أن ألتقي بها، في الشركة أو في أي مكانٍ تحب حتى أشرح لها أسبابي وما عن حصل وعن وضعي مع نادية، كنت أريد أن أؤكد لها أني لم أكذب عليها قط، وأن مشاعري تجاهها كانت صادقة، ولكن لم يكن هناك رد منها على الإطلاق وكأنها اختفت عن الوجود.

بقيتُ على تلك الحالة شهراً كاملاً أحاول فقط أن ألقاها ولكن دون جدوى.

ذهبت لأمي كالمجنون أخبرها عن ما حصل معي وعن مريم، وعن ما أشعره تجاهها، حتى أني وبدون تفكير مسبق أخبرتُها عن الرحلة وسعادتي معها فيها، أخبرتُها أني لم أشعُر بتلك الأحاسيس مع نادية، وإن كانت تريد لي السعادة فلتخلصني من نادية وتخطب لي مريم.

- أقسم بالله يا سيف، إن لم تعد إلى رشدك! وتنسَ كل الذي قلته لي الآن، فاعتبر أني لست أمك ولاأعرفك وسأغضب منك طوال العمر! من هي تلك الفتاة التي تعرفت عليها في ثلاثة أيام وتريد أن تهدم حياتك لأجلها؟ هي شيطانة ولا تناسبك! من تسافر وتخرج ..

وتحب رجلاً متزوجاً ولا تعرف عنه شيئاً، هي فتاة لا تريد أن تبني معها حياتك!! اسمعني أنا أعرف مصلحتك اكثر منك.

- لا تقولي عنها هذا الكلام يا أمي! هي أكثر الفتيات اللواتي قابلتهن أدباً ورقة، بريئة ونقية كنقاوة الأطفال.

- هذا ما تجعلك فتيات إبليس تشعر تجاههن، حتى تصل أنت إلى المرحلة التي فيها أنت الآن، لقد سمعتَ ما عندي ! لا أريد نقاشاً في الأمر.. عجِّل في زواجك واستعذ من الشيطان وانتبه لزوجتك.

- أنا لست طفلا يا أمي.

- إذاً تصرف كالرجال! كما ربيتك! أنت رجلي الوحيد بعد وفاة أبيك، تريد ابنة إبليس أن تأخذك مني؟!...

وبدأت بالبكاء، وأنا لا أقوى على دموعها أبداً..

- اهدئي يا أمي أرجوك، لن يأخذني منك أحد..

هزّني كلام أمي، فأنا لا أريدها أن تغضب عليّ، أعرفها وأعرف أن لا شيء من الممكن أن يرضيها لو غضبت، لقد أغلقت جميع الأبواب في وجهي تماماً، كما أغلقتها مريم التي لم أرها منذ ذلك اليوم.

كنت أريد أن أكلمها فقط، أريد أن أعتذر لها وأسمع أنها تريد أن تكمل حياتها معي حتى أقوى على مواجهة أمي أكثر، وإقناعها بأن سعادتي لن تكتمل دون مريم. أنا متأكد أن كلام مريم عن زواجها كان انتقاماً مني فقط، لا يمكن أن تكون ستتزوج، مستحيل! لا يمكن أن تكون تلك الأحاسيس التي وصلتني منها عبثاً؟!

كان كلام أمي عنها قاسياً جداً، ولكنها أمي، حتى وإن كانت ستدمر حياتي، فتبقى أمي ولا أستطيع أن أغضبها مهما كان، سأحاول أن أجعلها تقابل مريم بطريقة ما، ربما، ربما تغير رأيها.

لكنها وبالمقابل، بدأت تشن حرب نادية عليّ، نادية التي تغيرت كثيراً وأنا متأكد أن لأمي يداً في الموضوع، أصبحت رقيقة وحنونة وتهتم بي أكثر وتبحث عن رضاي.

حتى أني حين طلبتُ منها أن نغير موعد الزفاف إلى وقتٍ أقرب أملاً مني أن أسبب مشكلة بيننا لأتخلص من هذا الزواج، فاجأتني بالموافقة الفورية، وحين سألتها عن تجهيزاتها لعرسها الأسطوري، وكيف أنه لن يكون لديها وقت كافٍ قالت بكل برود مصطنع:

ـ لا يهمني العرس، الأهم أني سأكون معك في بيت واحد.

لم أكن بحاجة لكل ذلك الآن، كنت أبحث عن مريم، كنت سأسأل عنها أياً من زميلاتها أو حتى مديرها، ولكني خفت أن تثار الشائعات حولها، فلم أتجرأ على فعل ذلك. حتى حنان جاءتني تسأل عن الرحلة، وأخبرتها كأن شيئاً لم يكن، أن الأمر كان عادياً ولم يحصل شيء، وأني لم أرها منذ ذلك اليوم، وشعرت براحة أنها صدقتني على الفور.

وبعد شهر آخر تقريباً، كنت أنتظر المصعد يوماً ما، وفُتح أمامي فإذا بي أرى مريم تقف داخله حاملة حقيبتها البُنية، ذات الحقيبة التي كانت معها في بورصة، أتذكرها لأني كنت أحملها لها طوال الرحلة، شعرت بألم في صدري و غصة في حلقي، كاد باب المصعد أن يغلق فقفزت مِن مكاني لألحق به، وبالفعل، دخلته ومعي ثلاثة زملاء سلموا عليّ ثم نظر كل منهم بعيداً، نظرتُ إليها وقد حُشرت في زاوية المصعد، اقتربت منها وهمست:

ـ بحثت عنك كثيراً، أين كنتِ؟

لم تنظر إليّ حتى وقالت:

- كنت مشغولة أستاذ سيف.

هكذا بدون مشاعر خرجت من بين شفتيها "أستاذ سيف" ..

خرج الثلاثة الذين كانوا معنا في المصعد في أحد الطوابق، وبقينا وحدنا أخيراً، التفتُ إليها في الحال

- مريم، أريد أن أكلمكِ، أرجوكِ.

رفعت عينيها نحوي، والشرار يتطاير منها..

- أمازلتَ متزوجاً؟

- نعم، لكن، هنا.. هناك .. أريد أن ..أشرح.

قاطعتني.

- إذاً لا يوجد كلام بيننا.

فُتح المصعد وخرجت رافعة رأسها إلى الأعلى غير مكترثة لا بي، ولا بأي شيء أريد قوله. عرفتُ حينها أنه لا أمل لي معها، كانت تلك فرصتي الأخيرة وخسرتها.

لم أكن أريد أن أسبب لها المزيد من الألم، فقد كان شكلها وكأنها بلا روح، شعرتُ وكأني قتلت تلك الطفلة التي كانت معي في تركيا، وحولتها إلى إنسانة بلا مشاعر، فأوقفت محاولاتي وتركتها وتركت كل شيء جميل كان معها هي فقط دون غيرها، والتفتت إلى من ستكون زوجتي خلال أشهر قليلة.

"مريم"

عدت إلى نقطة الصفر من جديد، فبعد أن جف جرحي وبدأ بالشفاء، جاء سيف وكأنه وضع يده عليه وضغط عليه بكل قوته حتى أدماه من جديد، فبعد ابتعادي، وإجازتي، ومحاولاتي نسيان ما حدث، عدت لأراه من جديد.

كم هو قاس القلب!! ما الذي يريده مني وهو متزوج؟! حتى لو اعتذر! ماذا سأستفيد من اعتذاره يا ترى؟ بكيتُ في سيارتي كثيراً، ولكني وبعد وقت قليل، تمالكت نفسي وأخبرت ميساء ما حصل، جاءتني على الفور لتهدئ من روعي، ثم وضعت يديها على كتفي وقالت لي:

- لستِ أنتِ من يبكي على رجلٍ خائن! انسي أمره، هو لا يستحقكِ أبداً.

كان كلام ميساء صحيحاً، لستُ أنا من تبكي على أي رجل، بالذات رجلٌ كاذب ومخادع كسيف، لن أعطيه هذه الفرصة مرة أخرى. في اليوم التالي طلبتُ من مديري أن يرفق اسمي مع المشاركين في دورة تدريبية ستقام بعد أسبوع في الأمن الإلكتروني، فوافقني على الفور. كنت أعرف أن تلك الدورة تقام خارج الشركة، وأنها تمتد لتسعة أشهر وأحياناً سنة، فسعدت لأنها ستمنحني وقتاً كافياً أبتعد فيه عن أجواء الشركة.

انتقلت إلى حيث تقام الدورة وانهمكت في العمل، كانت الدورة التدريبية مفيدة جداً وتعلمتُ منها الكثير، جميع من في الدورة كانوا من خارج شركتنا، فحمدت الله على ذلك، لا أدري لماذا؟ ولكن خوفي من العودة وشعوري بأن جميع من الشركة يعرف ما حصل بيني وبين سيف لم يفارقني، ربما لم يعرف أحد، ولكن الشعور كان بداخلي، لدرجة أني فكرت أن أستقيل كلياً من هناك.

تعرفتُ على الكثيرين من خبراء تكنولوجيا المعلومات، وتعلمت منهم كيفية الدخول الى عوالم مختلفة في الشبكة العنكبوتية التي لا يتجرأ أحد على الدخول إليها. كونت صداقات مع شباب وفتيات أجانب كانوا قد جاءوا من بلدانهم المختلفة، ليحظوا بفرصة الالتحاق بهذه الدورة، كان كل شيء يسير على ما يرام، فحمدت الله على ذلك.

عملي والأيام ساعداني على نسيان ما حدث، ولكن كان هناك شيء غريب أنتظره، كنت أنتظر أن تعود خالتي لتطلب يدي لوليد فأوافق هذه المرة، وأحاول أن أجد الحب معه، كنت أريده أن ينسيني ما شعرتُ به مع سيف، ولكنها ولأول مرة لم تفعل، ولم أتجرأ أنا على سؤالها.

سألت أمي في مرة من المرات "من الغريب أن لا يأتي وليد إلى بيتنا كل هذا الوقت؟" ..

فنظرت إليّ أمي نظرة ذات مغزى، وكأنها فهمت أني أبحث عنه أو أريد أن يحصل شيء.

طلبت من خالتي أن تأتي هي ووليد مرات عديدة، ولكنها كانت تتهرب وتعتذر بأنها مشغولة أو لديها التزامات ولا تستطيع القدوم. لم أبالِ إطلاقاً بذلك، ولكن الفضول كاد يقتلني لأعرف متى سيأتون مرة أخرى.

"وليد"

لم يبدُ على مريم السعادة حين عادت من تركيا، بالرغم من أن ميساء زلّت بلسانها وقالت لي إنها قد تعرفت على أحدهم هناك وأنه ربما سيتقدم لها ويخطبها، شعرتُ أني لا أعني لمريم أي شيء، وأنها لم تحبني على الإطلاق، فلمَ عليّ أنا أن أنتظرها؟ لم عليّ أن أخفي علاقتي بميساء أكثر؟!

كنت أحب ميساء، وميساء تحبني، وقررت أني سأخبر أمي مهما كلّف الأمر، قبل أن تتهور وتخطب مريم للمرة العاشرة لترفضني هذه المرة من أجل شخص آخر، قررتُ أني لن أسمح لذلك بالحدوث.

- أمي، أريد أن أخبرك بشيء.

ترددتُ كثيراً قبل أن أقدم على تلك الخطوة خوفاً من عقباتها، ولكن كان عليّ اتخاذ موقفاً حاسماً في أسرع وقت.

- قل لي يا بني، سريعاً، لأن لدي الكثير لأفعله، سأذهب عند خالتك ولا أريد أن أتأخر، لم أرها منذ مدة.

- أمي انتظري اسمعيني، اجلسي قليلاً.

جلَسَت أمامي، كنت أستجمع الكلمات في عقلي لأقولها لها في ألطف صورة ممكنة، فمريم ابنة اختها التي حلمت طوال حياتها أن تزوجها لي، بالتأكيد سيسبب قراري هذا مشكلة كبيرة في العائلة

ـ أسمعك يا وليد تكلم.

أخذت نفساً عميقاً وقلت:

ـ أنتِ تعرفين أن قرار الزواج قرار صعب، وعليّ أن أفكر ملياً قبل أن أتخذه.

ـ أكمل، بالطبع كلامك صائب، لهذا لم نستعجل إلى الآن حتى تكون مستعداً تماماً.

استجمعت قواي وقلت:

ـ لا أظن أني أريد الزواج من مريم.

سقطت ملامح وجهها أمامي، وكأني أخبرتها بأن أحدهم فارق الحياة. ابتلعت ريقها وقالت:

ـ ما الذي تقوله؟

ـ هناك الكثير من الاختلافات بيني وبينها، وبصراحة، أنا أشعر بأنها أختي و لا أشعر بأي مشاعر تجاهها، لذلك لا أستطيع أن أظلمها معي.

ـ من هي؟

ـ لا أفهمك، من هي من؟

ـ من هي التي دخلت حياتك وقلبت مزاجك هكذا؟ لم تتكلم عن الحب و المشاعر يا وليد من قبل! من هي التي دخلت حياتك وغيرت كلامك؟

ـ لا أحد يا أمي.. لقد فكرت فقط، شعوري بأنها أختي لم يفارقني، هل تفهمين؟

ـ أنا أعرفك يا بني أكثر من نفسك، أنت لا تستطيع قول

كلامٍ كهذا، إنه ليس كلامك، أخبرني من هي؟!

خفت أن أقول اسمها فتنهار وتغضب ولا تكمل حديثها معي، ولكن كان يجب أن أقول كل شيء، لم أستطع الانتظار أكثر.

- أريد أن أتزوج ميساء.

تغيرت نظرتها من إحباط إلى غضب!! احمرَ وجهها وصرخت في وجهي:

- ما الذي تقوله يا وليد!! ميساء من؟ هل جننت؟؟ تريد أن تتزوج ابنة عم مريم!! لماذا؟ أين عرفتها ومتى؟

- اهدئي يا أمي أرجوكِ! واسمعيني، أنا أحب ميساء، أشعر بأن بيننا الكثير من الصّفات المشتركة! وأريدها! أريد أن أتزوجها!

- ميساء! تترك مريم الناضجة الرقيقة، وتتزوج ميساء شبيهة الصبيان! ميساء الطائشة!! لماذا!! لماذا تريد أن تدمر العلاقة بيني وبين أختي!! كلا انس الأمر تماماً! لا يمكن لهذا الزواج أن يحصل، انس الأمر وتعقّل.

- أمي كفى، هي تعجبني وأنا أريدها، أنا من سأتزوج ولست أنتِ ولا أختك! أرجوك افهميني، أنا اخترتها هي وانتهى الأمر.

قامت من مكانها، لم تستطع البقاء جالسة من ثورة غضبها، وبدأت يدها ترتجف!

- كيف!! كيف أخبر أختي بكلام كهذا!! كيف!! لقد تخيلتك أنت ومريم في يوم عرسكما!! تهدم كل شيء يا وليد!! من أجل من! ميساء!؟

- قولي لهم كل شيء قسمة ونصيب، وصدقيني، مريم لا تريديني.. لن تكوني في موقفٍ محرج أبداً صدقيني.

- كيف تعرف أنها لا تريدك؟!

فكرت أن أقول لها الحقيقة، و لكني خفت أن أشوه سمعة مريم فقررت الصمت

- أعرف فقط، الرجال يعرفون، يكفي أنها رفضتني أكثر من مرة.

- لا تتكلم مع أي أحد في هذا الموضوع، دعني أفكر، سامحك الله يا ولدي، سامحك الله!!

خرجت من المنزل وهي تحتسب الله في من كان السبب، أعتقد أنها تقصد ميساء! رن هاتفي..

- هل كلمتها؟؟

- نعم يا ميساء، ولن تتوقعي ردة فعلها، كانت عادية جداً.

كنت فقط أريد أن أطمئنها!

- هل أخبرتها عني؟

- نعم، ولكن طلبت مني أن أنتظر قليلاً حتى تفكر بطريقة لتخبر خالتي.

سكتت ميساء لبعض الوقت..

- ما بكِ يا ميساء، لا تقلقي، أمي تحبني وستفرح لفرحي، وحتى مريم وخالتي، جميعهم يريدون سعادتنا.

- أخشى أن نسبب انشقاقاً في العائلة ونكون نحن السبب، أخشى أن لا تكلمني مريم للأبد.

- مريم لا تكترثُ لأمري صدقيني، إنها مجبرة فقط، دعي أمي تنقل لمريم وخالتي الخبر ثم سنرى ماذا سيحدث..

- لا تقل هذا!! يا إلهي، أشعر أني أنا السبب، لم تكن ستفكر هكذا لو لم أخبرك عن زميلها، لقد انتهى الأمر بينهما ، أرجوك انس الأمر!

- مريم تستحق أفضل منه، وسيأتي أحد ليتزوجها يحبها وتحبه، أنا أحبك أنت يا مجنونة ولن أتزوج غيرك، وأظن أنك تشعرين بما أشعر، أم أنا مخطئ؟

- كلا ، المشكلة أنك لست مخطئاً.

- هل تريدين أن تلعبي، هيا ادخلي وسنلعب كرة القدم، سأحطمك.

وبسرعة تغير مزاجها و قالت:

- تحلم.

هناك الكثير من الصفات المشتركة بيني وبين ميساء، تجعلني أفكر كيف لم أعرفها منذ زمن وهي من العائلة!! ميساء هي الفتاة المثالية لي، تحب البلاي ستيشن ولم أهزم من قبل أحد كما هُزمت منها، ولأنها نشأت بين أربعة صبيان، فهي تحب كرة القدم أكثر من أي شاب، وتتابع جميع المباريات، ولها رأي رياضي أفضل من جميع المحللين الرياضيين، وفي الوقت ذاته، هي جميلة وتكاد الأنوثة أن تنزل منها كقطرات صغيرة، دائماً أنيقة جداً وتهتم بمظهرها بكامل تفاصيله. لا أدري كيف لفتاة أن تجمع بين الاثنتين!! ولكنها فعلت، أستطيع أن أتحدث معها لساعات طويلة

دون أن أشعر بالملل، فهي تسايرني في جميع مواضيعي، وأستطيع أن أتكلم معها في أي موضوع وأجد عندها رأياً فيه، والأكثر من ذلك، فإن رأيها يقنعني في أغلب الأحيان. خفيفة الظل وتجعلني أضحك باستمرار حتى وإن كنت معكر المزاج، ميساء تجعلني في كل يوم أشعر وكأني لا أستطيع أن أتركها وأتأكد أنها الأفضل بالنسبة لي.

طردتني أمي من المنزل، و قاطعتني و لم تكلمني لأسابيع، بالرغم من جميع محاولاتي معها، ودخلت في حالة اكتئاب شديدة وحبست نفسها في غرفتها رافضة الحديث مع أحد، حتى أنها لم تذهب إلى بيت خالتي لفترة طويلة وجميع من في البيت يُحملني أنا المسؤولية ويطلبون مني التراجع في قراري. لكني كنت عند كلمتي وأعرف أن أمي سترضخ لي وتوافق في نهاية الأمر، كان تعلقي بميساء يزيد بعدد دقائق اليوم، وأتأكد كل يوم أنها ستسعدني ولم أكن مستعداً أبداً أن أتراجع فقط لأن أمي تريد مني أن أتزوج من تريد. لم يكن هناك عيب محدد في مريم، ولكني لم أحبها كما أحببت ميساء، وكان ذلك كافياً بالنسبة لي لأرفض الزواج منها.

".. ميساء.."

كيف لي أن أخبر مريم عن أمري، كيف لي أن أخبرها عن الحدث المهم الذي يحدث في حياتي! كيف أستطيع أن أعترف لها أني ووليد أصبحنا قريبين جداً من بعضنا البعض في الأشهر الماضية، صحيح أنه فاجأني حين كنا نلعب بكل اندماج في منتصف الليل حين قطع اللعبة وقال لي:

- ميساء، هل تتزوجينني؟

أوقعتُ جهاز التحكم من يدي في تلك اللحظة من أثر الصدمة وتوقفت عن اللعب، حتى رأيت نفسي أموت على شاشة التلفاز.

- ميساء.. تكلمي.

- ماذا تريدني أن أقول؟

- قولي أنكِ تشعرين بما أشعر.

كنت أشعر بالفعل بما يشعر، أشعر أن وليد أصبح أقرب إنسانٍ لي، أكلمه الآن أكثر من مريم نفسها أو حتى أمي وأبي.

أنا وحيدة في المنزل، ولكن حين وجدت وليد وتشاركت معه جميع الاهتمامات، شعرت بالسعادة وقد ملأ وليد الفراغ الذي كان في حياتي. ولكن، مريم، والعائلة، كيف ستتقبل أمراً كهذا؟ بالذات ومريم مجروحة الآن بعد ما حصل معها مع سيف.

لم أجب وليد في تلك اللحظة، ولكني أرسلت له على هاتفه كلمة "موافقة.." ، فأرسل لي .. " أحبك"..

كانت مريم دائماً تتكلم عن طيشه وجنونه، فلم أكن أتوقع أنه من الممكن أن يكون رومانسياً لتلك الدرجة، ولكن كانت تلك الصفات هي أجمل ما فيه وأكثر ما جذبني فيه.

لا أدري ما الذي سيحصل الآن بعد أن اعترف وليد لأمه بأمرنا وأخبرها أنه لا يريد أن يتزوج مريم، فقررتُ أنا بدوري أن عليّ أن أمهد لمريم بأمري حتى لا تتفاجأ به وتنصدم بدون أية مقدمات.

خرجتُ معها يوماً وتناولنا طعام العشاء وتكلمنا عن العديد من المواضيع التافهة، اشترينا أشياء لا نحتاجها وقضينا معظم وقتنا في غرف تبديل الملابس نجرب الفساتين والقمصان. كان يوماً جميلاً ولم أستطع أن أعكر صفوه بالحديث عن أي شيء له علاقة برجل، أو زواج أو أي شيء من هذا القبيل.

في طريقنا الى منزلها، كنت مندمجة بالأغنية وأتمايل يميناً ويساراً ومريم تعبث بما في سيارتي وتخرج الأوراق وتسخر مني، ومن القاذورات وبقايا علب المشروبات الغازية والبطاطا المقلية، التي أتركها في السيارة، وظلت توبخني أنه عليّ أن أنظف سيارتي بين الحين والآخر.

- لا تستطيعين أن تقودي سيارة بحوالي الربع مليون وتكون بهذه القذارة يا ميساء أرجوك!

-لا تعبثي بأغراضي، فهي هكذا تشعرني بالحميمية وأنها كبيتي!

أكملتُ أنا رقصي على أغنيتي المفضلة، ثم نظرتُ اليها وقد تيبّست في مكانها وهدأت بدون حِراك، خفّضت صوت المذياع..

- مريم ما بكِ؟

- لمن هذه البطاقة؟

- إحدى زميلاتنا في المدرسة، آاه يا مريم يجب أن تأتي معي إلى هذا العرس أرجوكِ، لقد كانت تشرح لنا كل تفاصيله، وكم كلفها فستانها، والكوشة، وترتيبات الطاولات والزهور، أقسم لك، لقد جعلتنا نشعر وكأنها أميرة، لا بد من أن من ستأخذه شخصاً ثرياً جداً، وإلا لما كانت استطاعت أن تفعل كل ذلك، وأزيدك من الشعر بيتاً، لقد كانت مطلقة من قبل، وحصلت على فرصة كهذه، ولكن تريدين الحقيقة، إنها جميلة، أقرب أن تكون ملكة جمال.

وبعد أن تكلمت كثيراً لاحظت أن مريمما زالت في الوضعية ذاتها، لم تتحرك من مكانها، وبدأت عيناها تدمع، أوقفت السيارة على الفور:

- مريم!! ما الأمر؟؟؟

مدّت لي البطاقة..

- ما بها البطاقة؟

قرأتها مرة أخرى ولم أستوعب..

- اقرئي اسم العريس يا ميساء..

قالت ثم خرجت من السيارة.

يا إلهي إنه سيف!! الذي كان مع مريم! كيف لم أربط؟؟ نادية!! نادية وسيف!! كيف؟

لقد قال لها إنه متزوج، أكان عاقداً قرانه فقط ولم يتزوج بعد؟ أهذا ما أراد أن يشرحه لمريم! تخلى عن مريم لأجل عقد قران فقط! السافل! خرجتُ من السيارة :

ـ مريم،اهدئي! انسي كل ما قلته.

ـ كان يجهز لعرسه ويقضي وقته معي يا ميساء، كيف لم أشعر أنه بذلك السوء.

وانهارت تبكي أمامي كأنها طفلة.

ـ لا تشغلي بالك فقط، كما اتفقنا، هو لا يستحقك، انسي الأمر، تعالي هيا، لنعد الى المنزل.

كلما أردت الاعتراف لمريم، كلما تعقدت أمورها أكثر، لا أستطيع أن أقول لها عن قصة حبي مع من كان من المفترض أن يكون زوجها الآن، لذلك قررت الانتظار، لعلّ والدة وليد تبدأ الأمر من جهتها ويكون وقْع الأمر أخف عليها.

"سيف"

تزوجنا أنا ونادية، وحصلت نادية على حفل الزفاف الذي كانت تحلم به، وتباهت أمام جميع من أرادت أن تتباهى أمامهم. كانت أمي سعيدة وكنت سعيداً لسعادتها، وكان الجميع ينظر إلينا وكأننا طيرا محبة قد توجا حبهما بالزواج.

لم تقبل نادية أن نقضي شهر العسل في تركيا، وقالت إنها بلد مملة ولا يمكن زيارتها مرتين، مع أنها تعلم أنه حلمي أن أذهب إلى هناك أنا وزوجتي. في المقابل سافرنا إلى باريس، قالت إنها لطالما حلمت أن تقضي شهر عسلها هناك، في المدينة الأكثر رومانسية في العالم، فحققت لها ما تريد حتى يكون أحدنا راضياً على الأقل.

كانت سفرة جميلة ولطيفة لحدٍ ما، بالرغم من أننا كنا نختلف كثيراً على نوع الطعام الذي سنأكله، والأماكن التي سنزورها. هي تريد شارع الشانزليزيه حيث يمكنها أن تلتقط لنفسها صوراً وتظهر خلفها الماركات العالمية، وأنا أريد أن آخذ جولة سياحية في قصر فيرساي لأستشعر ما حصل مع الأميرة "أنطوانيت ولويس السادس عشر"، وكيف جُبرت أنطوانيت ذات الأربعةَ عشر ربيعاً أن تخرج من بيتها وبلادها لتذهب وتعيش في فرنسا وحدها مع رجل غريب، وفوق كل ذلك، تحكم بلداً بأكمله. كان رأي نادية في جولة

كهذه أنها لا حاجة لها بأن ترى المكان الذي عاشت فيه الإنسانة التي كادت تدمر فرنسا بأكملها وأنها استحقت الإعدام، يجب أن لا أنسى أن نادية مدرسة تاريخ وجغرافيا.

حتى الجولات التي من المفترض أن تكون رومانسية، كالرحلات البحرية حول نهر السين، كانت نادية تتجنبها وترفض مرافقتي فيها وتفضل البقاء تحت برج إيفل ليظهر خلفها في كل الصور. نختلف كثيراً ثم نقرر أن يذهب كل منا للمكان الذي يريده، ومن ثم نعود إلى الفندق لنتناول طعام العشاء. كان هوسها هو التقاط الصور لتري صديقاتها ماذا تفعل؟ وأين تذهب؟ لتكمل حملة المباهاة التي بدأتها منذ أن كانت تجهز لحفل الزفاف.

لا أظن أنها توقفت للحظة لترى الشارع الذي تمشي عليه، وروعة البنيان الذي حولها. فاجأتُها في أحد أيامنا بأن حجزت لنا تذكرتين وإقامة في ديزني لاند، ظننت حينها أني فعلت شيئاً عظيماً، كنت بالفعل أريد أن أذهب إلى هناك وأرى شخصيات الطفولة، ولكن رفضت نادية الذهاب بقوة وقالت:

- أنا لستُ طفلة يا سيف، ماذا نفعل هناك؟ دعنا نبقَ هنا ونتمشَ في شوارع باريس.

- نحن نفعل ذلك منذ وصلنا يا نادية، دعينا نفعل شيئاً جديداً، لنسافر الى دولة أخرى مثلاً! لنذهب إلى ألمانيا مثلاً، سويسرا، ما رأيك!! ننطلق غداً؟

- لا! لا أحب القطارات! تسبب لي الغثيان.

- سنذهب بالطائرة إذاً!

- وأحمّل كل هذه الأمتعة، لا أحب التنقل كثيراً، دعنا نبقَ هنا.

كان الأمر محبطاً جداً، لم أشعر بالملل في سفرة في حياتي مثل تلك السفرة، وكم تمنيت أن تنتهي في أقرب وقت، وبالفعل، مضى الأسبوعان وكأنهما حمل ثقيل كنتُ أسحبه طوال الوقت، كل يوم نفعل الشيء ذاته، نتمشى بين شوارع باريس، نشتري من محال مبالغة في أسعارها، نادية تختار وتصور وأنا أدفع وأحمل أكياس المشتريات من خلفها.

عدنا إلى البلاد والجميع يباركون، يغمزون بأعينهم، يعزموننا لمنازلهم، ويأتون لمنزلنا، وأمي وجارتها في قمة فرحتهما. كنت كلما أراها سعيدة، يهون عليّ حزني وضيقي من الذي كنت فيه.

- هل أنت سعيد يا بني؟

أكلم نفسي " آه يا أمي كم هو صعب عليّ سؤالك هذا!!" ..

ولكني أجيبها على الفور:

- نعم يا أمي.. سعيد.

كان من الصعب جداً أن أقول لأمي أني ونادية لا نملك أي شيئاً مشترك، والأصعب من ذلك أن أقول لها إني لم أستطع أن أكَوّن أي مشاعر بيني وبينها، ولا ذكريات جميلة في شهر العسل. لا أدري ما الذي حصل، وكأن الله يعاقبني ويحرمني من أي فرصة للسعادة بعد الذي فعلته مع مريم.

"مريم"

زيارة خالتي لنا في ذلك اليوم غريبة، كانت متوترة جداً وكأنها تريد أن تقول شيئاً ما. شعرنا أنا وأمي بأنها تريد أن تقول لنا إنها تريد أن تخطبني لوليد، ولكن، كلما مرّ الوقت أكثر، كلما شككنا بمغزى مختلف لتلك الزيارة.

- ما بكِ يا أختي؟ أشعر بأنكِ تريدين قول شيء!

قمتُ من مكاني لأمنحهما بعض الخصوصية، ولكن طلبت مني خالتي البقاء.

- اسمعيني يا مريم.. أنت تعرفين معزّتك عندي، وأنكِ أغلى عندي من أبنائي حتى، وسعادتك بالنسبة لي هي أهم أولوياتي.

- تكلمي يا فاطمة! ما الأمر؟

- لا أدري ماذا أقول لكِ يا أختي، وليد ابني يريد الزواج، ولكن.. من فتاة غير مريم.

لم ترد أمي ولم أتكلم أنا، كان شعوري غريباً جداً في تلك اللحظة، لم أفهم ما إذا كان شعور.. بالفقدان؟ أم شعور وكأني كنت متوقعة أن يأتي يوم كهذا! ولكنه لم يكن حزناً أو ألماً، ربما كان شعور راحة؟ أو ربما غيرة؟ أو كان فضولاً بأن أعرف من هي تلك الفتاة التي لفتت نظر وليد؟!

ولكن كعادتي وضعت قناعي الذي يحفظ مكانتي أمام من حولي، ويسجن إحساسي ومشاعري لتبقى في الداخل بعيدة عن أعين الجميع، وقلت لخالتي بهدوء:

- كل شيء قسمة ونصيب يا خالتي، وليد سيبقى ابن خالتي الذي أعزه وأحترمه، وسأفرح لفرحه بكل تأكيد.

نظرَت إليّ أمي بحزن، ثم طلبت مني أن أحضر الشاي حتى أخرج من غرفة الجلوس، لتبقى مع خالتي وحدها. أظن أنهما ستتشاجران، كنت أريد أن أقول لأمي إنه ليس هناك أي داع للشجار، فوليد اختارني في السابق ولم أوافق، والآن لا ألومه أنهً يريد أن يبدأ حياته مع أحد غيري فهذا حقه. ما كان يحزنني فقط هو أني فقدت الاثنين معاً، سيف ووليد، في الفترة ذاتها و كان ذلك صعباً جداً عليّ.

سمعتُ أمي تتكلم وخالتي تبكي، وضعت أذني عن باب الحجرة لأسترق السمع:

- أين عرفها؟؟

أمي تسأل بتعجّب.

- لا أدري يا عائشة! لا أعرف! ليس هذا ما يهمني، المهم أني أعرف أن ابني مجنون، لن يبالي فيما أقوله له، سيتزوجها حتى وإن رفضت، سيتزوجها رغماً عني!

- ميساء!! ما الذي أعجبه فيها؟! أين رآها أصلاً ؟!

أمي تقول بازدراء!!

ميساء! ميساء ابنة عمي! هل هي التي يريد أن يتزوجها وليد؟ هل يعرفان بعضهما! كيف؟! ومتى؟! ولمَ ميساء بالذات؟ لماذا لم تخبرني بأي شيء؟ وهي كانت تخرج معي كثيراً بالذات في الفترة الأخيرة؟! هل تخاف أن أحسدها؟ حتى ميساء تفكر هكذا؟ هل تعرفت على وليد متعمدة؟! متى؟ متى حصل كل ذلك؟ لابد أن الأمر حصل من مدة، وإلا لم يكن وليد سيفكر في الزواج بها!

احترتُ فيما يجب عليّ أن أفعل، هل أكلمها وأفهم منها ما حصل؟ أم أتظاهر بأني لا أعرف شيئاً وأنتظرها لتفتح معي هي الأمر؟ كلا لم أكن أستطيع الانتظار فاتصلتُ بها على الفور وطلبتُ منها أن نخرج لأني أريدها في أمرٍ مهم، حاولت أن تتهرب مني ولكني أصررت على الخروج:

وحين جلسنا في مقهى هادئ، سألتها:

- لمَ لم تخبريني عن وليد؟

نظرت إليّ ثم أبعدت عينيها عني، أعرف أنها خجِلة من نفسها ومما فعلت، وبالفعل، كان عليها أن تشعر بذلك. حاولتُ أن أتمالك نفسي حتى أستطيع أن أفهم كيف ولماذا فعلت ما فعلت؟!

- ميساء، لا تقلقي، أنا لست غاضبة منك أو مجروحة، أنت أكثر واحدة تعرف موقفي من زواجي من وليد، ولكني متعجبة فقط، لمَ لم تخبريني بالأمر؟

- كيف أخبرك يا مريم وأنا لم أكن أعرف ما الذي يحصل بيننا بالضبط، بدأ الأمر مزاحاً وانتهى بالجد، وبعدها أنت كنت في تلك الحالة مع سيف، لم أعرف كيف أخبرك ومن أينَ أبدأ حتى؟! تعرفيني أني لست جيدة أبداً في الحوارات.

- تحبينه؟

سألتها ورأيت عينيها قد لمعت وطيف ابتسامة قد بدأ بالظهور على وجهها.

- نتفق في كثير من الأمور يا مريم،لا أعرف إن كان ذلك يسمى حباً أم اتفاقاً، ولكني أرى أني أستطيع أن أكمل حياتي معه.

سرحت بذاكرتي وتذكرت سيف وشعوري معه، جنوننا معاً في تلك الرحلة، إعجابي به، راحتي معه، شعوري بالأمان حوله، رعشة يدي حين ينظر إليّ، نعم كنت أعرف ما تقوله ميساء، أعرف إحساسها بالضبط، أعرف حين ترى أنك تستطيع أن تكمل حياتك مع ذلك الشخص. آلمني قلبي كثيراً.

- أنا آسفة يا مريم، لن أفعل أي شيء إن كنت غير موافقة..

- لن أقف في طريق سعادتك يا ميساء، أنت ووليد ثنائي جميل، أنتما الاثنان مجانين، وأعان الله الأطفال الذين ستكونان لهم والدَيْن.

كنت أحاول جاهدة أن أخفي النار التي كانت تشتعل بداخلي، فشعوري بأن ميساء خانتني وطعنتني هي الأخرى من خلفي لم يفارقني مهما شرحت لي أن الأمر كان مصادفة أو مزاحاً كما تقول. كانت تعرف كل المعرفة أن وليد خطيبي لكنها تعمدت أن تتعرف عليه.

شعرت أني فقدت الثقة في كل من حولي، فها هي أقرب الناس لي هي الأخرى خدعتني. أخفيتُ كل تلك المشاعر التي كانت بداخلي فلا فائدة من إظهارها، ولن أستفيد أي شيء إلا أني سأظهر بمظهر الضعيفة والبائسة أما الجميع، وهذا الأمر الذي لا أحتمله. إن كان وليد يريد ميساء فليذهب إلى الجحيم، لم أعد أبالي فأنا لم أهتم به منذ البداية.

لم تتوقف ميساء عن الكلام، أخبرتني كيف تطورت علاقتها بوليد، وكيف أن علاقة حبهما بدأت عبر الـ (البلاي ستيشن). كنت أسمع عن العلاقات التي كانت تبدأ عن طريق **facebook**، وغيرها من مواقع التواصل، ولكن البلايستيشن كان جديداً بالنسبة لي!! كم هما أطفالاً! تظاهرتُ معها كأن شيئاً لم يكن وقضينا باقي وقتنا نخطط لحفل زواجها، وماذا سنلبس؟ وأين سيكون؟

عدتُ إلى المنزل ورأيت أمي وكأن أحداً مقرباً لها قد توفي، أخبرتُها أني كنتُ مع ميساء وأني عرفتُ كل شيء، و أخبرتُها أنّ وليد وميساء يناسبان بعضهما البعض، وكل شيء قسمة ونصيب، في محاولة فاشلة لأهدئ من روعها.

ـ ليتَ أمكِ لديها نصف عقلك ورزانتكِ يا ابنتي. قال لي أبي، وقبلني على رأسي. أكمل:

ـ كنت ضد هذه العلاقة من الأساس، ابنتي يجب أن يتزوجها أمير وليس وليد الطائش.

- يا خسارة التخطيط طوال السنين! آاااه! ميساء المتصابية تأخذ وليد الغني، الوسيم، وابنتي تبقى بلا أحد!! يا إلهي ساعدني، لا أستطيع أن أحتمل!!!!

أمي كانت في حالة يرثى لها، وكأنها هي من خسرت زوج المستقبل ولستُ أنا. تركتُها أنا وأبي وحدها، كلٌ ذهب في طريقه، بقيَت على تلك الحالة أسابيع، تندب حظها وحظي، وتؤنبني لأني لم أعر وليد الاهتمام الذي كان يحتاجه كما فعلت ميساء، وتحملني المسؤولية لأني أخّرت الزواج إلى أن طار وليد، وطارت معه أحلام أمي.

"سيف"

من اليوم الذي بدأتُ فيه حياتي مع نادية في منزل أمي وهي تتذمر من كل شيء، مع أنها كانت تعرف أننا سنعيش في منزل أمي منذ اليوم الذي قمت بخطبتها فيه، ولم تبد أي اعتراض على هذا الأمر، ولكنها ومنذ عدنا من شهر العسل، وهي تتذمر بدون أي سببٍ مقنع.

- لا أستطيع أن أحصل على خصوصيتي معك يا سيف، وأمك تراقب تصرفاتنا طوال الوقت.

- أمي لا تراقب أياً من تصرفاتك، لها حياتها ولكِ حياتك، وهذا بيتها مثل ما أصبح بيتك، لن أترك أمي تعيش وحدها يا نادية وأنتِ تعرفين ذلك، فكُفي عن هذا الكلام.

ولكنها لم تكف وأصبحت تنتظر أي فرصة لتبدأ مشكلة مع أمي، عن الطعام، عن طلبات أمي، عن مواعيد خروجها وعودتها إلى المنزل، حتى وإن سألتها أمي سؤالاً بسيطاً، تحوله نادية إلى مشكلة كبيرة.

جاءتني نادية يوماً ما وهي تبكي وتندب حظها السيئ، سألتها عن السبب فقالت:

- أنا حامل.. أنا حامل يا سيف!!

كانت تقولها وكأنها مصيبة من مصائب الدنيا، اقتربت منها لأحتضنها وأبارك لها هذا الخبر السعيد، ولكنها ابتعدت عني وأكملت بكاءها.

- لم نتزوج إلا منذ شهر، شهرٍ واحد فقط، ما زلتُ غير معتادة على حياتي هذه، لم أعتد عليكَ أنت، كل شيء مازال جديداً بالنسبة لي!! كيف أنجب طفلاً الآن يربط حريتي، ويقيد تحركاتي؟!

كانت الصدمة التي أشعر بها غريبة، لم أقابل أي امرأة في الحياة تتكلم هكذا حين تعرف أنها حامل وستصبح أماً عمّا قريب؟! كنت أظن أن الأمومة حلم كل فتاة، ولكنها لم تكن حلم نادية على الإطلاق، حاولتُ تهدئتها وإقناعها بأنه من الجيد أن يصبح لدينا ابن أو ابنة، ليتغير روتين حياتنا ويسعدونا، ولكني كنت كالذي يتكلم مع أصم، ثم انتهى بها الحال أن طلبت مني الذهاب لأمها، وخرجت وتركتني في الغرفة وحدي مع الخبر الذي كنت أنتظره طوال عمري، والذي بخلت عليّ حتى أن تسعدني به.

ازدادت كآبة نادية مع مرور أشهر حملها، أصبحت عصبية جداً ولا يمر علينا يوم واحد بدون شجار أو نقاشٍ حاد، حتى أني كنت أضطر لأن أنام خارج الغرفة حين أريد أن أنعم ببعض الهدوء، لم تكن سعيدة معي ولم أكن سعيداً معها، حتى أصبحتُ أكره العودة للبيت، وما كان يجبرني على العودة حقاً هي أمي.

حياتي مع نادية كانت غريبة، غير الذي تخيلته طوال عمري، تأخرتُ بالزواج لأني كنت أريد أن أختار زوجتي التي ستكون شريكة حياتي، لم أكن ضد الزواج التقليدي، فهو لا يكون سيئاً

دائماً، وأعرف الكثير من الزيجات الناجحة من أصدقائي وأقاربي التي بدأت تقليدية وأصبحت شيئاً في قمة الروعة، ولكن ما كان يحدث بيننا لم يكن لأني لم أختر نادية، ولكن لأني وهي لم نفهم بعضنا البعض، أو أظن أن دوافعنا للزواج كانت مختلفة. أنا كنت أريد أن أبني أسرة، ونادية كانت تريد أن تتباهى بأنها أصبحت زوجة وليست مطلقة، كنتُ أريد حبيبة وصديقة، أما هي فقد تكانت تبحث عن رجل، أياً كان، كنتُ أحب عملي وبارعاً فيه وأحبُ أن أتكلم عنه وأحكي ما يحصل معي كل يوم، أما هي فكانت لا تهتم ولا تجاملني حتى، وتظهر لي القليل من الاهتمام، حتى عملها الذي ظننتُ أنها تحبه، تركته بكل بساطة بعد عودتنا من شهر العسل مباشرة دون أي أسباب لتبقى في المنزل بلا هدف.

كان كل ما تريد أن تفعله هو الخروج مع صديقاتها، الجلوس في المقاهي والتسوق، لم أسمعها يوماً تتكلم أو تفكر في مستقبلها، ولا في تطوير نفسها ومهاراتها.

كانت نادية جميلة من الخارج ولكن فارغة من الداخل، ولذلك لم يجذبني فيها شيء، باختصار كنا نعيش تحت سقف واحد، ولكن لكلٍّ منا عالمه الخاص، ولم نجد ذلك العالم الذي نلتقي فيه.

عدت ذات يوم من لقاء أحد الأصدقاء ولم أجد أحداً في المنزل، كانت نادية تقضي الليلة في منزل أمها، للمرة الثالثة في الأسبوع ذاته، ذهبتُ لأبحث عن أمي ووجدتها في غرفتها تبكي، وحين سألتها عن السبب حاوت إخفاء الأمر، ولكني أصررت أن تخبرني عن ما يشغلها وينزل دموعها الغالية، فانفجرت وأخبرتني عن معاملة نادية السيئة لها، وكيف أنها لا تعاملها باحترام، ولا تتحمل من أمي أي كلمة، أخبرتني كيف أن نادية تطلب من العاملات في المنزل أن يعصوا كلامها.

لم أكن أعرف عن كل تلك المشاكل التي بينهما، كنت أظن أن المشاكل بيني وبين نادية فقط، وأن الأمور مستتبة بينها وبين أمي على الأقل، فأمي تعرف نادية منذ أن كانت صغيرة، لقد كنت في قمة صدمتي وألمي، فقد كان احتمالي لنادية فقط من أجل أمي، ولكن الآن وحين رأيتُ أن أمي مستاءة منها أيضاً ازداد غضبي.

دمعت عينا أمي وقالت لي كيف أنها نادمة كل الندم على اختيارها لي، فقد غشتها نادية في بداية الأمر، ولم تكشف عن وجهها الحقيقي إلا بعد زواجنا، وكم تتمنى لو أنها تستطيع إصلاح هذه الغلطة.

- لا فائدة يا أمي من هذا الكلام، فقد وقعت الفاس بالراس، ونادية حامل يا أمي، تحمل في أحشائها ابناً لي وحفيداً لك، لا يمكن إصلاح هذه الغلطة الآن، لا أريد لابني أن يعيش مشتتاً بيني وبينها يا أمي.

مسحت أمي دموعها بكم جلابيتها، وأكملت أنا:

ـ ولكن والله، أقسم لكِ أن أحضرها إلى هنا لتقبل قدميكِ الغاليتين، وتعتذر لكِ!!!

قبلت أمي على رأسها، وذهبت لبيت عمتي غاضباً ثائراً! إلا أمي، كان كل من في العالم في كوم واحد، وأمي في كوم آخر تماماً. طلبت من عمتي أن تنادي نادية فهناك أمر مهم أريد أن أكلمها فيه، قالت لي إن نادية في الخارج، ازداد غضبي فهي لم تخبرني أنها ستخرج، ولم تكن عمتي تعلم مكان ابنتها، انتظرتُ في منزلهم حوالي ساعتين، لا أفعل أي شيء سوى الاتصال بنادية، وأنظر في عينيّ عمتي بكل أسى.

وحين جاءت، سألتها أين كانت ولمَ لا تجيب على هاتفها، أجابتني بلا مبالاة وكأنه ليس لي حق لسؤالها، لم أبالِ بها، فهناك أمرٌ أهمّ جئت لأكلمها فيه وهي أمي، حاولت عمتي أن تهدئني، وأن تقنعني بأن الحمل يؤثر في المرأة ويجعلها عصبية ولا تعرف كيف تتصرف، وعليّ أنا أن أتحملها.

فهدأتُ قليلاً وطلبتُ من نادية أن تحضر أغراضها وتعود معي لتعتذر من أمي، ولكنها رفضت وبقوة وقالت إنها لن تعود إلا إلى منزل وحدها:

ـ إن لم تعودي معي الآن وتعتذري من أمي، فلا تعودي إطلاقاً يا نادية.

ـ هل تهددني يا سيف؟

ـ لا أهددك، بل أحذرك.

- إذاً لن أعود! عد أنت لأمك! وأنا سأبقى هنا.

تدخلت عمتي مرة أخرى تهدئني وتهدّئ نادية.

- إنه الشيطان الذي دخل بينكما، اهدأوا وصلّوا على رسول الله.

صلينا عليه، ثم قلت:

- سأعود الى المنزل الآن، وسأنتظرك، إن لم تعودي الى المنزل اليوم، فلا تعودي أبداً، وها هي أمك شاهدة أمامك.

هدأنا قليلاً، وخرجت عمتي وتركتني مع نادية وحدنا، سألتها:

- ما بكِ يا نادية؟

"نادية"

كان سؤاله صعباً علي، ماذا بي؟ كان كل ما في مؤلماً، لا أشعر أني متزوجة، لا أشعر بالاهتمام ولا أشعر براحة في منزلي، كانت عمتي تنتظر مني الخطأ لتحوله إلى جريمة لا تستحق الغفران.

- ماذا أخبرك يا سيف؟ ما الذي تريد معرفته؟

- ما الذي يزعجك؟ ما بكِ؟ ولِمَ تُغضبين أمي هكذا؟ لقد كنتم على وفاق تام، ولكني عدتُ إلى المنزل اليوم وهي تبكي وتشتكي منكِ ومن معاملتك لها.

كانت تفعل ذلك لأنها تعرف أن سيف سيصدق أي شيء تقوله إن رأى دموعها، حتى وإن كانت غير حقيقية.

- وأنا أحبها يا سيف وأعتبرها مثل أمي، ولكنها عصبية جداً، أنا لا أنكر أني لستُ الزوجة المثالية التي كانت تريدها لك، ولكنها تطلب مني الكثير، لم أعد أحتمل.

كان يجب أن يعرف ما تفعله بي أمه طوال فترات غيابه، خصوصاً بعدما أخطأتُ وتركتُ عملي في المدرسة، وأصبحتُ أقضي وقتاً أطول في المنزل، فازداد الاحتكاك بيننا، ولم أعد أستطيع احتمال عصبيتها وتعليقاتها السلبية على كل ما أفعله أو أقوله.

يجب أن يعرف أنها منذ اليوم الذي جئنا لنعيش في منزلها، لا يمر يومٌ واحدٌ دون أن تعايرني أن أمي هي من طلبت منها أن تزوجني لسيف، وأني يجب أن أكون ممتنة جداً لها.

يجب أن يعرف أنها تغضب كلما اكتشف أني لا أعرف كيف أطبخ الوصفة الفلانية، أو أني أحرقتُ القميص الفلاني أثناء كوايتي له، كانت تريدني مثالية ولم أكن كذلك، وتلك كانت جريمتي لتحول حياتي بسببها لجحيم.

- أنت لا تعرف يا سيف، أنت تسافر كثيراً، وإن كنت موجوداً في البلاد، فإنك تقضي معظم وقتك في الخارج، لا تعرف ما الذي يحصل في المنزل، طلبتُ منك أن نعيش وحدنا ولكنكَ رفضت، نحن لا نخرج حتى مع بعضنا البعض إلا إذا كانت أمك معنا، أنا لا أشعر أني متزوجة يا سيف! أشعر بالوحدة الشديدة لذلك أقضي وقتي مع صديقاتي أو في بيت أمي لأنسى غيابك، وأبتعد عن عمتي قليلاً، هل تعرف أن صديقاتي يشككن في زواجي، ويظنّ أننا انفصلنا؟!

كان ينظر إليّ وكأنه يراني للمرة الأولى، ولكني لم أكترث له، أكملت كل ما أريد أن أقوله، كنت متعبة من الثقل الذي في بطني، ومتعبة أكثر من الثقل الذي في قلبي، أريد أن أفرغ كل ما بداخلي لأرتاح.

- هل تعرف أني كنت أطلب من أحد الفنادق أن يجهزوا عشاء رومانسياً على الشاطئ، وأذهب هناك وحدي وأصور العشاء

والشموع والورود الحمراء وأكتب "شكرا يا زوجي العزيز" كل ذلك فقط لأثبت لصديقاتي أني وأنت نعيش قصة حب خرافية.

التفت إليّ متعجباً وقال:

- ظننت أنك لا تحبين هذه الأجواء!

- لا توجد امرأة لا تحب هذه الأجواء يا سيف، نعم لا أعرف كيف أعبر عن إعجابي بها، ولكني سأفرح بالتأكيد إن فاجأني زوجي بشيء كهذا.

- حين كنت أحاول معكِ أن أكون رومانسياً أيام خطوبتنا أو حتى أيامنا في باريس كنتِ لا تهتمين، ظننتُ بالفعل أنك لا تحبين هذه الأجواء فملتُ وتوقفتُ عن المحاولة.

أحرجني بالفعل لأن معه حق، ولكني لم أدعه يحول الأمر عليّ.

- كنت مشغولة جداً في أيام الخطوبة، وكل تفكيري مُنصباً على حفل الزفاف، لأن وضعي كان مختلفاً يا سيف، أنت لا تعرف ما هو شعور الواحدة منا حين تكون مطلقة وتتزوج مرة أخرى، والكل ينظر لها وكأن من خطبها يشفق عليها ولن يجهز لها حفل زواج كبيراً، لأنها فقط كانت مطلقة، كان شيئاً مؤلماً بالنسبة لي، كنتُ أريد أن أخرس كل تلك الأفواه التي تتكلم كثيراً وتعيب بي، ولكني خسرتك أنت بالمقابل.

- لم تخسريني يا نادية، أنا هنا معكِ.

- أنت غائب دائماً يا سيف، إما خارج البلاد وإن كنتَ هنا في البيت، فأنت دائمُ السرحان والتفكير، سألتهم عنك فقالوا إنك شخصية هادئة، ولكني أظن أن الأمر ليس كذلك.

كنت أنتظر اللحظة التي أسأله فيها.

- سيف! هل أجبرتك أمك حقاً أن تتزوجني؟ هل تريد الزواج بأخرى؟

كنت أتوقع جواباً سريعاً بالنفي، ولكنه توتر، وتغير لونه فعرفتُ الإجابة بدون أن يتكلم، حاول التهرب من سؤالي.

- من أين جئت بهذا الكلام؟

- أمك تردد على مسامعي هذه الكلمات كلما غضبت مني لسبب من الأسباب، أخبرني يا سيف أرجوك! لم أعد أحتمل صمتك أكثر.

استمر في صمته القاتل ولم يتكلم، فتأكدت من الإجابة أكثر، أوجعني صمته، كنت أتمنى لو تكلم لأرتاح، ولكنه استمر في النظر إليّ تارة، ثم النظر للأرض تارةً أخرى. بدأ بطني يؤلمني بقدر الألم الذي تصاعد في صدري. هل يحب أخرى حقاً؟ هل يريد الزواج من امرأة أخرى؟ وجهه يقول كل شيء، ملامحه وحزنه يقولان إن كلامي صحيح، أكملتُ كلامي لأريحه و أرتاح أنا.

- سيف، إن كانت هناك امرأة أخرى في حياتك، أنا لا أمانع أن تتزوجها، هذا حقك الشرعي ولا أستطيع أن أمنعك منه، ولكن توقف عن تعذيبي بهذه الطريقة، أنا متزوجة ولست متزوجة وهذه ليست حياة، لا أستطيع أن أحتمل أكثر، بعد أشهر قليلة سأنجب ابنتنا، ليس لها ذنب أن تعيش مع أب وأم متزوجين بالاسم فقط.

- نادية: ربما لسنا أسعد زوجين، ولكننا نستطيع أن نكمل حياتنا من أجل ابنتنا، قلتِ لي ما يزعجك فيّ، وقلت لكِ ما يزعجني، سنحاول إصلاح ما بيننا، لا داع لكل هذه المشاكل، سنساعد بعضنا البعض، ولكن أرجوكِ، أمي امرأة كبيرة في العمر، تحمليها كما لو كانت أمك.

هززت رأسي بالقبول، كنتُ أعرف أنه حين يقول إنه سيحاول فهو بالفعل سيحاول، عدتُ معه في ذلك اليوم إلى المنزل واعتذرتُ من عمتي، لم تكن فرحة جداً باعتذاري، ولكني لا أستطيع أن أفعل المزيد.

كما اتفقنا، خففتُ من نزهاتي مع صديقاتي وخفف سيف من سفراته، وحين كان يضطر للسفر، كنت أذهب معه ونقضي وقتاً ممتعاً، تحسن الوضع قليلاً بعد تلك المصارحة. ما زلنا نختلف كثيراً ولكن وضعنا معاً أصبح أفضل بكثير، وصلتُ لمرحلة التعايش والتعود التي كانت تخبرني عنها صديقاتي، يبدو أنه بالفعل لا يوجد شيء يسمى الحب في الحقيقة.

"وليد"

تزوجتُ وميساء بعد أشهر قليلة وكانت أجمل من رأت عيناي، جميلة بالفستان الأبيض كالملاك. سافرنا في اليوم التالي مباشرة بعد العرس، زرنا جزراً غريبة في آسيا لم يصلها إنسان من قبل، قفزنا من أعلى طائرة في تجربة مميتة، ولكنها كانت أروع شيء أجربه على الإطلاق. كانت ميساء مجنونة، وكنت أنا أكثر جنوناً منها، في كل مغامرة نعرف بعضنا أكثر، ونحب بعضنا أكثر، وشعلة التحدي بيننا على القيام بما هو أخطر وأكثر إثارة لم تنطفئ طوال الرحلة.

ثم انتقلنا إلى أفريقيا، وعبرنا نهراً مليئاً بالتماسيح، وأقمنا في قرى تقع في أعماق الغابات يعيش فيها قبائل بدائية استقبلونا بكل حب ومودة. بالرغم من بساطة حياتهم والبدائية التي كانوا فيها، إلا أن ميساء كانت تجلس معهم بكل حب، تأكل من أكلهم، وتلبس من ملابسهم، لم أرَ أنها تشعر بالقرف أو الاشمئزاز بل على العكس، كانت مستمتعة وهي تمارس النشاطات التي تمارسها النساء في القرية.

نمنا في أكواخ صغيرة، وحضرنا حفلات بها صخب وغناء أفريقي يجعلك تريد أن ترقص رغماً عنك، ولأنهم كانوا يعرفون أننا حديثو الزواج، أرغمونا على الرقص واحتفلوا معنا احتفالاً غير عادي، كانت تجربة رائعة.

مرت الثلاثة أسابيع وكأنها ثلاث أيام، زرنا فيها غابات لا متناهية، واكتشفنا فيها نباتات وحيوانات لم نرها من قبل. صعدنا جبالاً شاهقة فجراً فقط لنستمتع بمنظر الشروق، وسبحنا تحت شلالات عملاقة على ضوء القمر.

لم تكن ميساء من الفتيات اللواتي تقلق عليهن أو تخاف من أن تأخذها إلى مكانٍ ما، بل العكس، كانت شجاعة لا تخاف ولا تتردد، تعيش اللحظة بكل ما فيها، وكان ذلك أكثر ما يجعلني أحبها أكثر في كل يوم.

عدنا إلى البلاد وانتقلتُ معها لنعيش في بيتنا الذي أثثناه معاً، كنت أعود للمنزل وكل شيء جاهز، الطعام وفيلم مميز للسهرة أو حلقة جديدة من مسلسل نتابعه معاً. في بعض الأحيان، كانت تفاجئني بأن حجزت لنا عشاء مميزاً في مطعم جديد لم نجربه من قبل، أو قطعت لنا تذاكر لعرضٍ ما أو الأجمل من ذلك مباراة ما. كل يوم مع ميساء كان مغامرة، فهي لا تمنحك فرصة لأن تشعر بالملل، فوجودها حولك بحد ذاته كان مغامرة.

وأنا في المقابل، كنت أعرف ما تحب بالتحديد، أكثر ما يفرح ميساء هو أن أتصل بها وأقول لها "احزمي الحقائب وقابليني في المطار، سنسافر بعد ساعات" فتفعل ذلك في أقل من ساعة لنسافر معاً حتى وإن كان ليومين أو ثلاثة لأي مكانٍ جديد، ثم نعود بنفسية جديدة ولحياتنا المعتادة.

أجمل ما كان فينا هو عدم التخطيط لأي شيء، وفعل أي شيء نريده في الوقت الذي نريده. نكون في المنزل في ليلة من الليالي نشاهد فيلماً بكل هدوء، ثم إن شعرنا بالجوع، نقرر فجأة أننا نريد تناول الطعام في مطعم في مدينة أخرى، فنلبس ملابسنا ونخرج حتى وإن كان الوقت متأخراً في الليل، ونأكل ثم وإن تأخرنا، نحجز في أي فندق وننام في تلك الليلة هناك.

أما أمي، فقد كانت لا تزال مستاءة من زواجي ومن ميساء ومن طريقة حياتي معها. كانت تنتقد سفرنا المتواصل، وتنتقد تصرفات ميساء وتتعمد إحراجها كثيراً أمام الغرباء. في بادئ الأمر، كانت ميساء تستاء من معاملة أمي لها، إلا أنها ولأجلي، استطاعت أن تجعل أمي تحبها وتتعلق بها أكثر مني، ومع الأيام، فهمت أمي لـمَ اخترتها دون غيرها من الفتيات.

بعد أشهر قليلة من زواجنا، جاءتني ميساء بالخبر السعيد.

ـ سيصبح لك ولي عهد بعد تسعة أشهر.

قفزت واحتضنتها ورفعتها من مكانها، ودرت بها حول نفسي، ثم وضعتها مرة أخرى على الأرض.

ـ أخبريني، ولد أم فتاة، بسرعة؟ قولي إنه ولد أرجوك.

ـ لا يظهر الآن يا ذكي، تحتاج أربعة أشهر على الأقل لتعرف، أو هذا ما أظنه.

ـ آاااه كيف لي أن أصبر، ولد! ولد، إن شاء الله ولد.

نظرَت إليّ بحزن وقالت:

ـ تريد صبياً حتى يشاركك في كل شيء ولا يبقى لي مكان عندك، أليس كذلك؟

قبّلتها على خدها وقلت:

ـ ستبقين شريكة ألعابي ومغامرتي المفضلة دائماً.

ـ يجب أن نخفف من المغامرات الآن، لا قفز ولا تسلق، إلى أن ننتهي من هذا الأمر.

قالت لي محذرة وهي تشير الى بطنها.

ـ إنه سبب لنبدأ بالتخطيط لسفريات رومانسية إذاً، تلك الهادئة بلا صخب ولا إزعاج.

ابتسمت واحتضنتها من جديد، اخذتها لنحتفل وتناولنا العشاء على متن يخت كبير، ثم ذهبنا وأخبرنا أمي وخالتي ومريم. كان الجميع سعداء، ولكن ليس بقدر سعادتي أنا.

بدأ جميع أصدقائي يقولون لي إنه وبمجرد دخول الأطفال حياتنا فسينتهي كل شيء، المغامرة والسفر والحب وحتى الخروج لأي مكان، ولكنهم لم يعرفوا ميساء، فحملها وإنجابها لم يغيرا علينا شيئاً، حتى (البلاي ستيشن) فلدينا واحد خاص بنا في غرفة نومنا، نلعب كلما أردنا تحدي بعضنا البعض.

بعد أن أنجبنا عيسى، لم تتغير حياتنا إلا للأفضل، كانت ميساء ترتب أموره بشكل غريب، بحيث لا نشعر بأي ثقل وهو معنا، لم تكن كزوجات أصدقائي اللواتي تقف حياتهن إن أنجبنّ طفلاً واحداً، وينسين أزواجهن والحب الذي كان بينهم لينتهي الأمر بالزوج أن يمل ويقضي معظم وقته خارج المنزل، وأحياناً كثيرة، يفكر ويتزوج زوجة ثانية.

كما قلت، أصدقائي لم يعرفوا ميساء كما أعرفها أنا.

"مريم"

بعدما أنهيت الدورة التدريبة، رُشحت لمناصب عدة في الشركة، ولكني رفضتُ معظمها، ليس لعدم مقدرتي على شغلها، ولكني لم أشعر أني أميل لشَغل منصب إداري، كنت أحب عملي التقني كثيراً، وأشعر دائماً أني أستطيع أن أبدع فيه أكثر من الإدارة.

لكن هذا لا يعني أني لم أضطر لشغل منصب نائب مدير القسم في الأوقات التي كان فيها مديرنا يضطر للخروج في مهام رسمية، أو حتى في إجازات سنوية. كنت أبلي بلاءً حسناً كمديرة، وطورتُ قدرتي على الإدارة حين قررتُ إكمال تعليمي والتحاقي بماجستير إدارة الأعمال. كان الزملاء في القسم جميعهم يتوقعون لي مستقبلاً باهراً في الشركة إلا أنا، لم أكن أرى ذلك المستقبل واضحاً أمامي في هذه الشركة، وأرى أني أستطيع أن أبدع أكثر في مشروعي الخاص.

على الصعيد الشخصي، لم أتزوج إلى الآن، طوال حياتي كنت أرى وليد أمامي، وفي عقلي خططٌ عظيمة عن كيف سأستطيع ترتيب حياتي معه، كيف سأساعده على النضوج! وماذا سأفعل لأشجعه حتى يكمل تعليمه الجامعي. لذلك فقط، لم أفكر يوماً في المواصفات التي أتمناها في شريك حياتي المستقبلي.

أما الآن بعد أن اختفى وليد من الصورة وأصبح مكانه خالياً، تغيرت توقعاتي ومخططاتي لحياتي. أصبح لدي قدرة على الاختيار والتفكير فيما أريده وما لا أريده في الشخص الذي سأرتبط به. أصبحتُ أستطيع أن أقول أني لا أريد أن أتزوج شخصاً لم يكمل تعليمه الجامعي كعبدالله، وأني لا أريد أن أرتبط بأحد لا يصلي أو يتهاون في صلاته مثل ماجد. كان اختيار حياتي بيدي، ليس بيد أمي ولا أبي ولا حتى خالتي، وإلى الآن لم يأت ذلك الفارس الذي سيخطفني لأذهب معه دون تفكير أو تردد.

كنت في مكتبي ذات يوم، غارقة في عملي كاختصاصية تكنولوجيا المعلومات، ونائبة رئيس القسم في الآن ذاته، تلقيتُ اتصالاً من السكرتيرة سماح:

- آنسة مريم هناك شخص يريد مقابلتك.

- من هو؟ أنا مشغولة جداً يا سماح، وعندي اجتماع مهم بعد نصف ساعة.

- يقول إن الأمر مهم.

من يا تُرى! لا أدري كيف يصرُّ الناس على مقابلتك بدون موعد هكذا، ولكني بطبعي لا أستطيع أن أقول لا لأحد.

- أدخليه واتصلي بي بعد ربع ساعة.

دقّ الباب وفتحه ولكني لم أبعد عيني عن شاشة الحاسوب، لأنهي آخر شيء كنت أفعله قبل أن يتم مقاطعتي من قبل هذا الشخص.

- يجب علي أن أقول أنه يليق بك منصب المدير.

نظرتُ إليه، وكان سيف! يقف أمامي، سانداً كتفه على الباب ووسيماً وجذاباً كعادته. ما الذي جاء به وماذا يريد؟ لم أره منذ فترة طويلة، كان آخر لقاءٍ بيننا في ذلك الاجتماع قبل ثلاثة أو أربعة أشهر، حين كان الجميع يبارك له بالمولودة الجديدة.

حينها تأكدتُ أنه سعيد في زواجه، حاولتُ كثيراً أن أعتذر عن حضور ذلك الاجتماع حين علمتُ أنه سيكون موجوداً، ولكني لم أستطع لأني كنت أحتل منصب نائب المدير. طوال مدة ذلك الاجتماع، كان سيف يتعمد أن يسقط نظره عليّ بين الحين والآخر، ولكني حاولت جاهدة ألا أعره أي اهتمام، وبمجرد انتهاء الاجتماع خرجت من الغرفة مسرعة بدون أن أوجه له أية كلمة. لكنه الآن هنا أمامي، يبتسم لي ويمزح كما لو أنه لم يمر أكثر من عام على ذلك الوقت، على أيامنا في تركيا التي لا تُنسى.

- كيف أستطع أن أخدمك؟

بمجرد أن أغلق الباب خلفه ساد التوتر في الغرفة، جلس على الكرسي أمامي ينظر إليّ، كانت نظرته تقتلي، عيناه العسليتان بجاذبيتهما تستطيع أخذي إلى أماكن بعيدة جداً لا أستطيع العودة منها، أبعدت نظري عنه، وتظاهرت بالانشغال:

- استاذ سيف، أنا مشغولة جداً، قلتَ إنك تريدني في أمر مهم، تفضل أرجوك.

- مريم..

كم يؤلمني اسمي حين يخرج من بين شفتيه.

- أنا هنا لأتعرف عليك بالطريقة التي تليق بك، ولك حرية القرار بعد ذلك.

رفعتُ حاجباً وأنزلتُ آخر، لم أفهم ما يرمي له، ولكنه تجاهل نظرتي وأكمل:

- أنا سيف مسعود، مدير قسم العلاقات العامة هنا في الشركة، متزوج، وعندي ابنة، أبحث عن السعادة التي فقدتها في الثالث من أبريل ٢٠١٣، وأبحث عن تلك الإنسانة التي أخذت سعادتي معها، يا مريم أنا لم أستطع زيارة تركيا منذ ذلك اليوم، لم أستطع أن أتمشى في شوارعها وأنتِ لستِ معي، لم أعد أراها كما كنت أراها وأنت لستِ فيها.

لم أستطع الرد ولا بكلمة، ولكنه لم يبال وأكمل كلامه:

- أعرف أنك لم تتزوجي، وأنا الآن هنا آمل منك أن تشاركيني حياتي وتقبلي أن تكوني زوجة ثانية لي، زوجة اخترتها وأحببتها منذ اليوم الأول الذي رأيتها فيه، أريدك أن تسمحي لي بأن أخرج أنا وأنت وأشرح لك عن ظروفي، ورغباتي، ولكن إن لم توافقي، فأنا أتفهم شعورك، وأعدك أن لا أتعرض لك مرة أخرى.

انتهى من كلامه ثم نظر إليّ ينتظر مني أن أرد.

كان كلامه صادماً لي جداً، زوجة ثانية؟ لقد جنّ بالتأكيد!! صحيح أني كنت أذوب من الداخل تحت تأثير جاذبيته وفرحتي أنه هنا الآن يترجى مني الموافقة على أن أكون زوجة له، تلك

الأمنية التي تمنيتها قبل أكثر من عام، ولكن كنت أنتمنى أن أكون له وحدي، زوجته الوحيدة، اختياره الأول وليس زوجة ثانية أبداً، وضعتُ قناعي المفضل، قناع القوة واللامبالاة.

ـ اسمح لي يا أخ سيف مسعود، أنا لا أستطيع أن أبني سعادتي على تعاسة امرأة أخرى، أنت اخترت من قبل، وعليك أن ترضى بما قسمه الله لك، وتحافظ على أم ابنتك، ولا تجرحها بهذه الطريقة.

كان ينظر إليّ بتمعن وتركيز وأنا أتكلم، عقد حاجبيه ثم قال:

ـ أفهم ما تقصدين، أنا لن أنفصل عن زوجتي، ولكن الشرع يحلل للرجل أربعة، وأنا أريد اثنتان فقط، وأريدك أنتِ يا مريم.

قال بهدوء وكأنه يقول كلاماً عادياً جداً وأنا أشعر بالغليان من داخلي، كيف له أن يفعل هذا بي، لا يمكنني أن أوافق على طلب قاسٍ بهذه الطريقة، لمَ يفعل الرجال هذا؟ لماذا يتزوجون نساء غير مقتنعين بهن، ومن ثم يبحثون عن زوجات أخريات يقعون معهنّ في الحب؟! كيف تكون لديهم القدرة على استيعاب كل ذلك.

قلت له بكل حزم:

ـ اسمح لي يا سيف، لا أستطيع.

ثم نهضتُ من مكاني معلنةً انتهاء المقابلة.

تحولت ملامح وجهه من حماس وأمل لإحباط، اتصلت بي السكرتيرة تذكرني بالاجتماع، وحين رأيت أنه لم يتحرك من مكانه قلت له:

- أنا آسفة ولكن عندي اجتماع الآن.

قام من مكانه على الفور وقال بصرامة:

- اعطني رقم والدك.

أخذت ورقة وكتبت عليها رقم أبي، وأعطيتها له فقط ليذهب ويتركني أمضي في طريقي.

ابتسم وقال:

- سأراكِ قريباً يا مريم.

لا أظنه فهم رفضي أبداً، هل سيراني هنا في الشركة أم في المنزل؟ لا أفهمه أبداً، سيف كان غامضاً ومازال بالغموض ذاته.

فتح باب المكتب وخرج وكأنه أخذ قلبي معه، شعرت بأن قدميّ قد تحولتا إلى سائلٍ هلامي، جلست على أقرب كرسيّ إلي، ووضعت يدي على صدري أحاول تهدئة ضربات قلبي، كان تأثيره علي قويٌ جداً لا أستطيع احتماله.

لم أسمع أي شيء يقال في ذلك الاجتماع، بقيت أفكر في سيف وأتساءل في نفسي هل سيتصل بأبي حقاً؟ ماذا سأفعل حينها إن فعل؟ هل سأوافق أن أكون زوجة ثانية له؟ هل سيوافق أبي من الأساس؟

عدتُ إلى المنزل وأنا متوترة، اختفيت في غرفتي بحجة أنه لدي الكثير من الأعمال الخاصة بدراستي، لم أتناول حتى طعام الغداء فزيارة سيف بعثرتني، بقيت في غرفتي مختبئة أقلب في هاتفي صوري في تركيا، وبورصة، وجيش من الذكريات يحاربني دون أي مقاومة مني.

دخل أمي وأبي غرفتي في مساء ذلك اليوم، وقطعا علي اندماجي:

- أبوكِ يريد الحديث معكِ. قالت أمي ونبرة الحماس واضحة على صوتها

- تفضل يا أبي، ما الأمر؟

- هل تعرفين شخصاً اسمه سيف مسعود، يعمل في شركتكم؟

"آاااه يا ابتي ، أعرفه حق المعرفة" قلت في نفسي ولكني تظاهرت بالجهل.

- أظن أنه مدير أحد الأقسام عندنا في الشركة، ما به؟

- اتصل بي يريد أن يتعرف عليّ وطلب أن يتقدم لخطبتك، يبدو عليه رجلاً محترماً ولكن..

- لكن ماذا؟

سألت أبي متظاهرة بالجهل مرة أخرى وأنا أعرف بالضبط ما يقلق أبي..

- إنه متزوج، ولديه طفلة، ويريدك زوجة ثانية له!!

لم أصدق أن سيف اتصل بأبي وتجرأ وقال له هذا الكلام!

- أسفة يا أبي، تستطيع الاعتذار منه، أنا لا أستطيع أن أكون سبباً في هدم بيت أحد، إن الزواج الثاني ضد مبادئي تماماً.

هزّ أبي رأسه بهدوء وفكر قليلاً ثم قال:

- فهمت، قال إنه سيأتي ليقابلني غداً، يبدو أنه جاد جداً يا ابنتي، كان يريد أن يأتي ليراني في المدرسة، ولكني طلبت منه أن

يأتي الى المنزل، دعيني أسمع ما يريد قوله، وأعدك بأني سأنقل له وجهة نظرك، ولكن أريدك أن تتريثي وتستخيري الله قبل أن تقرري أي قرار.

لم أعقب على كلام أبي فقد كنت خجلة جداً منه، قبّلني على رأسي وقال:

ـ أكملي ما كنت تفعلين، وفقك الله.

خرج، وبقيت أمي في الغرفة.

ـ أشعر بشيء غير واضح، من هو هذا سيف؟ ولم أنت رافضة كل هذا الرفض؟ وكيف عرف رقم أبيكِ هكذا؟ هل تعرفينه من قبل؟ أخبريني!

ـ أعرفه نعم، بصراحة لقد فتح معي الموضوع من قبل، وكنت واضحة جداً معه حين قلت له إني غير موافقة، لم أتوقع أن يتصل بأبي، وبالمناسبة، رقم والدي ورقمكِ موجودان في سجل الشركة وإيجاده ليس صعباً أبداً.

لم تكن أمي مقتنعة جداً بكلامي وقالت:

ـ إن كان رجلاً مقتدراً ومن عائلة جيدة، وظن أبوك أن أخلاقه عالية، فلِمَ لا؟ ما المانع؟

ـ كيف تقولين هذا يا أمي! تريدينني أن أكون زوجة ثانية؟ لماذا؟ هل بي عيب ما؟ ألا أستحق أن أكون اختيار أحدهم الأول؟ لمَ أكون ثاني اختيار له؟ كلا لا يمكن! لا أستطيع أن أثق بأحد كهذا، ربما يأتي اليوم ويتزوج الثالثة من بعدي وحينها ماذا؟!

- لا تكوني غبية وعاطفية، من الواضح جداً أنك أعجبته لسبب ما، ومن المؤكد جداً أن زوجته من اختيار أمه أو أبيه، وهذا أمر طبيعي جداً في مجتمعنا، أما أنتِ فاختياره هو، فكري بعقل وتريثي!

ثم خرجت أمي وتركتني هائمة في تساؤلات لا حدود لها، هل بالفعل يجب أن ألوم المجتمع على ذلك؟ لمَ يسمى الرجل رجلاً إن لم يكن يستطيع اتخاذ القرار الأهم في حياته وهو قرار زواجه، ويضطر أن ينقاد وراء أمه أو أبيه ليزوجوه فلانة حتى وإن لم يكن مقتنعاً تماماً بها كزوجة. كيف أستطيع أن أثق به إن كان قد خان ثقة زوجته الأولى. بسبب عقول كهذه، فإنّ فقط نسب الطلاق لدينا ترتفع مع السنوات لتصبح الأعلى عالمياً، كلا، لا أستطيع أن ألوم المجتمع، بل أنا ألوم الأشخاص أنفسهم، هم وحدهم أصحاب القرار.

جاء سيف بالفعل وملك قلب أمي وأبي كما ملك قلبي من قبل، حتى أنهما تغاضيا عن كونه متزوجاً ولديه ابنة. قال لهما إنه معجبٌ بي منذ اليوم الأول الذي رآني به، وأنه سيفعل المستحيل لأحظى بحياة كريمة دون أن يخبرهما عن تركيا ورحلتنا معاً بالطبع. تكلم معهما عن ظروف زواجه الأول، وكيف أن أمه رفضت إلا أن يتزوج بمن اختارتها له فكان بين نارين، نار غضب أمه ونار العيش مع امراة لا يحبها. أقنعهما أني سأعيش وحدي معه ومع أمه، وزوجته الأولى وابنته ستعيشان في بيت آخر كان قد جهزه لهما، وذلك بناءً على طلب زوجته فهي التي فضلت أن تعيش في منزل وحدها.

- ارتحتُ له يا ابنتي، فهو رجل محترم جداً، وأشعر بأنه سيحافظ عليكِ مثلي تماماً يا ابنتي، ولكن القرار هو قرارك في النهاية.

قلت في خاطري، إنه يشبهك في كل شيء يا أبي! ولكن لا! رفضت طلب سيف مرات عديدة. حاولَت أمي اقناعي بشتى الطرق، حتى ميساء، كرّست وقتها وأصبحت تأتي كل يوم لتقنعني بالموضوع ذاته.

- ربما أخطأ في السابق يا مريم،ولكن تذكري أنه حاول التواصل معك وأنتِ منعتيه بكل الطرق، ربما كان يريدك في ذلك الوقت وأنت لم تمنحيه فرصة شرح أسبابه، لا ترفضي بدون تفكير فتندمي، تذكري أنه سيف الذي أحببته من قبل وقلتِ إنه الرجل المناسب لك.

- نعم، الرجل المناسب لي وحدي، ولكن ليس مع زوجة أخرى، وما ذنبها هي؟ ما الذي فعلته لتستحق منه أن يجرحها بهذه الطريقة؟ كلا يا ميساء انسي الأمر.

بالرغم من كل أزهار التوليب التي كانت تصلني لمكتبي من سيف، وبالرغم من كلام أفراد العائلة معي ومحاولاتهم إقناعي، وحتى حنان، جاءتني تخبرني عن سيف ورغبته القوية في الارتباط بي، ولكن لم يستطع أحد تغيير رأيي. لقد كنت مقتنعة تماماً بأن لو كان سيف أحبني بصدق في السابق كما يقول، لكان حاول تغيير رأي أمه، أو على الأقل امتنع عن الزواج، لو كان ذلك حقاً سببه لتركي.

أما الآن وقد تزوج، وحين شعر بالملل منها تذكرني وقرر أنه يريد الارتباط بي، وجاءني يطلب السماح، كلا، لا أستطيع قبول ذلك، حتى وإن كنت أحببته في الماضي، وربما مازلت أحبه الآن، ولكن إن وافقت على طلبه فلن أشعر بأني أحترم نفسي أبداً.

"سيف"

"حفل الزفاف يبدو أجمل من أي شيء توقعته طوال حياتي، حفل جميل على يخت يبحر في البسفور، في قلب إسطنبول، الفرقة الموسيقية تعزف أجمل الأغاني العربية، الأجنبية والتركية، هم يعزفون والجميع يرقص في قمة الاستمتاع، أرى جميع أهلي وأصدقائي، أمي وأختيّ وأزواجهما والأطفال، أرى عائلة مريم وأصدقاء عائلتهم، كان الجميع بانتظار عروس الحفل، مريم. حين جاءت اللحظة، عزفت الفرقة موسيقى تركية هادئة، وانطفأت الأضواء وسُلط ضوء واحد على مدخل القاعة، وأطلت مريم عليّ، جميلة، مضيئة، كنجمة نزلت من السماء، نجمتي أنا. لا أصدق أنها أصبحت لي بعد طول الانتظار، تمشي بهدوء إلَيّ أنا وحدي، بجانبي كان أبوها وأخوها، وإلى جانبها أمها وأختها، لم أشعر بأحد، كنت أنظر إليها وهي تمشي حتى التقت عيناها ببعضها البعض، شعرت وكأنه لم يعد هناك أحد سوانا، لم أستطع الانتظار حتى تصل إليّ، اقتربت منها، قبلتها على رأسها وصرخ جميع الحاضرين من الفرحة. أمسكت بيدها ومشينا معاً إلى حيث يجب علينا الوقوف، سلم الجميع علينا وباركوا لنا، كانت المصورة تلتقط الصور من جميع الجهات والزوايا كما أوصيتها. لم أترك يد مريم تفلت من يدي للحظة، كما لو كنت أخاف أن ترحل عني مجدداً، وأنا الذي انتظرت لسنوات حتى أحصل عليها، هي تبتسم وتسلم على المهنئين، وأنا أريد أن أتقمص جميع المهنئين لأحظى بتلك القبلات كلها على خديّ.

جلست إلى جانبها على الكرسي، اقتربت منها وهمست في أذنها "تبدين أجمل من أي وقت مضى" ثم قبلتها على خدها، وأمسكت يدها وقبلتها براحة يدها، أراها تكاد تختفي أمامي من شدة الخجل، وكانت تلك أجمل حالة أراها فيها.

وحين انتهت الجولة البحرية، وانتهى حفل الزفاف، عدنا للميناء، كانت السيارات بانتظار الضيوف لتعيدهم إلى الفندق، أما أنا ومريم،فقد كانت غرفتنا في اليخت جاهزة بالورود والشموع والعطر والبخور. لم نستطع أن ننام من جمال الليلة، تكلمنا كثيراً، استحضرنا العديد من الذكريات الجميلة، حلمنا، خططنا، سافرنا بأمنياتنا بعيداً حتى ارتمت مريم ونامت على صدري"..

ـ سيف .. سيف...!! ستتأخر على عملك.. سيف! استيقظ!!!

اسمع صوت نادية، تصرخ في أذني، تتلاشى الصورة التي أراها أمامي، اختفت مريم،اختفى اليخت، واختفى حفل الزفاف، أحاول فتح عينيّ فأرى نادية تقف فوقي توقظني لأذهب للعمل، انظر إلى جانبي فلا أرى مريم،سامحك الله يا نادية لماذا أيقظتني؟ كيف لي أن أعود للنوم الآن؟! أعود الى هناك!! إلى تركيا! آاااه كم كان حلماً جميلاً! كم أريده أن يكون حقيقة.

منذ ذلك اليوم الذي قالت لي نادية إنه "إذا أردت الزواج فلتتزوج" وفكرة ارتباطي بمريم لا تفارق خيالي، قلت في نفسي، لمَ لا؟ لم لا أحظى بالاثنتان معاً؟! لا أظلم نادية فهي ليس لها ذنب

أبداً أني ارتبطت بها دون رغبة قوية مني، ولا أظلم ابنتي وأجعلها مشتتة بيني وبين أمها، في الوقت ذاته، أحصل على مريم لتكون شريكة حياتي التي أردتها أن تكون كذلك منذ اليوم الذي رأيتها فيه. كم أتمنى لو توافق مريم على طلبي، فقد حاولت معها بشتى الطرق، كلمت أقاربها، أمها وأباها، أخاها، وحتى أني تواصتُ مع ميساء ابنة عمها وطلبت منها أن تقنعها.

طمأنتني ميساء أن مريم على وشك القبول، ولكن عليّ الاستمرار في المحاولة، وأن لا أيأس فمريم تحبني وقد بدأت تتراجع عن رفضها. لذلك ما زلتُ أحاول، وسأبقى أحاول، سأذهب وأخبرها عن الحلم، علّها توافق بعد أن أحكي لها ما شعرته وحلمته، كم أتمنى أن توافق قريباً لأحظى بفرصة إقامة حفل زفافنا هناك، حيث أحببتها وبدأ كل شيء، لأجد سعادتي التي أخذتها معها.

"نادية"

لم تكن المرة الأولى التي يستيقظ فيها سيف على اسم مريم. سمعته يتكلم في نومه عدة مرات وينادي باسمها، كنتُ أظنه يقصد مريم ابنتنا، ولكني بدأتُ أشك أن هناك امرأة أخرى في حياته.

هل بالفعل دخلت امرأة أخرى حياة سيف دون أن أشعر، وهي السبب في شروده الدائم وسهره المتواصل؟ هل يا ترى أنا السبب؟ هل أخطأتُ حين قلتُ له إن أراد أن يتزوج فليتزوج؟ لم أكن أقصد أن يفعلها بالفعل؟ كانت كلمة قلتها في لحظة غضب وانهيار! سأموت إن فعلها، لا يمكنه أن يفعلها! لن أسمح له بذلك أبداً.

كان يجب أن أتصرف بأسرع وقت وأعرف من هي تلك الإنسانة التي دخلت حياة زوجي وقلبتها رأساً على عقب، وأجد وسيلة للاتصال بها.

ذهبتُ إلى غرفة المكتب وبحثتُ في أدراج مكتبه لأجد أي شيء يصلني بها، وحين فتحت درج صغيراً أسفل المكتب و جدت شيئاً تمنيتُ لو لم أجده. وجدتُ بطاقة تعريفية مكتوباً عليها اسم (مريم منصور)، تساءلتُ ماذا تفعل بطاقة كهذه في هذا الدرج الصغير؟ ولم يحتفظ سيف بهذه البطاقة. كانت البطاقة خاصة

بمؤتمرعقد في تركيا، تذكرت أن سيف لم يذهب إلى تركيا بعد زواجنا أبداً، إذاً من المؤكد أن هذه البطاقة كانت من المؤتمر الذي شارك فيه سيف قبل زواجنا بأشهر.

كان يجب علي أن أخرج من المكتب بأسرع وقت قبل أن ينتبه سيف، وبحركة مني اهتزّت فأرة الحاسوب وأضاءت الشاشة وظهرت أمامي صفحة البريد الإلكتروني، ترددتُ كثيراً ولكني قررتُ أن أكتب اسم صاحبة البطاقة لعلي أجد شيئاً.

لم يكن هناك وقتٌ للتردد، فكتبتُ "مريم منصور" في مكان البحث، وبدأت الرسائل التي تحوي اسمها تظهر أمامي الواحدة تلو الأخرى، ودقات قلبي تتسارع وكأنها طبول تضرب داخل صدري إلى أن انتهى البحث. سألت نفسي كثيراً قبل أن أفتح أي رسالة، هل

بالفعل أريد قراءة هذه الرسائل؟ فقد خشيتُ أن أجد ما لا أريد أن أعرف، لكن فضولي في تلك اللحظة لم يسمح لي بإطالة التفكير حين وجدتُ إحدى الرسائل بعنوان "اعذريني".

كان محتوى الرسالة مؤلماً جداً، كان يعتذر لها فيها عن عدم إخبارها بأمر زواجه، ويرجوها أن تعطيه فرصة ليشرح لها كيف أنه لا يريد إغضاب أمه بالانفصال عن زوجته، التي هي أنا بالتأكيد. قُبض قلبي وكأن كل ما حولي أصبح مظلماً فجأة، والدموع في عينيّ لم تقبل أن تبقى في الداخل. انهرتُ وأنا أقرأ كلماته ورقتها، لقد كان يعيش حالة حب في الوقت الذي كنت أهتم بالزفاف. ذلك العرس الذي أرهقت نفسي بترتيبه وفي النهاية حصلت على انتقادات أكثر من التبريكات. كم كنتُ حمقاء حين اهتممت بالناس أكثر منه. كلماته لها ووصفه لمشاعره تجاهها كانت تبدو وكأنها شعر، من هي تلك الفتاة التي ملكت قلبه لهذه الدرجة؟ فهمت بعدها إصراره على تسمية ابنتنا مريم، فهمتُ أن أحلامه كانت عنها وليس عن مريم ابنتي، ولكن كيف؟! كيف كنتُ غبية لهذه الدرجة، هل من المعقول أن سيف يخونني الآن مع هذه المريم دون أن أشعر؟!

كان هناك المزيد من الرسائل ولكني لم أستطع أن أفتح رسالة أخرى، مسحتُ دموعي وتمالكتُ نفسي ثم كتبت عنوان بريدها على ورقة وأعدت البطاقة إلى مكانها في الدرج كما لو أن شيئاً لم يكن. في طريقي للخروج من المكتب، صادفني سيف:

- ماذا تفعلين هنا؟؟ أمي كانت تبحث عنك، مريم تحتاج لتبديل حفاظتها.

- لا شيء، تراكم الغبار على مكتبك فأردتُ تنظيفه.

قبلني على رأسي وقال:

- شكراً حبيبتي.

ثم دخل المكتب وأغلق الباب خلفه.

دمعت عيناي من جديد، كيف يستطيع أن يكون هكذا معي، وهو يحب فتاة أخرى يا ترى؟! ماذا فعلتُ له ليجرحني هكذا؟! ما الذي وجده فيها ولم يجده فيّ؟

أخذتُ مريم ابنتي التي أصبحت نظرتي لها مختلفه، أيعقل أنه يتذكر حبيبته كلما نظر لابنتي؟ أكان يحبها لهذه الدرجة؟ بدلتُ حفاظها وأنا أفكر في ماذا أريد أن أكتب؟ هل أكون قاسية مع تلك المريم وأهددها إن لم تتركه سيحصل لها ما لا تتوقعه؟ أخاف أن أثير عنادها بهذه الطريقة، فالفتيات لا يحببنّ التحدي. عليّ أن أكون ذكية، سأبدو لها و كأني محطمة بأن زوجي يخونني لتخاف من أنه سيفعل بها ما فعله بي !!

وبالفعل، لم أتردد، كتبتُ لها بأني زوجة سيف، وأنه يجب عليها أن تبتعد عنه لأنه متزوج ولديه ابنه، طلبتُ منها أن لا تهدم عائلة فقد تعبتُ وأنا أبنيها. رجوتها من أنثى لأنثى أن لا تفعل هذا بي، وإن فعلت فإن الزمن سيدور بها وستجد من تفعل بها الشيء ذاته. أرسلتُ الرسالة و دعوتُ الله أن لا يُفضح أمري، وأن تنجح خُطتي وتنسى تلك المريم أمر سيف، وينسى سيف أمرها.

"مريم"

بعد سنتين

- لماذا تركيا بالذات؟

- لـمَ لا؟؟ جميع أصدقائي يمدحون أجواءها ويقولون إنها جميلة، ولا تحتاج إلى ميزانية كبيرة، سنذهب أنا وأنتِ وعمر.

وافقتُ مروان على مضض، فتركيا بالنسبة لي منبع لذكريات لا أريد أن أفتح لها المجال.

تزوجت ومروان قبل سنتين تقريباً وأنجبنا عمر، كان مروان رجلاً طيب القلب وحنوناً جداً عليّ وعلى طفله، كان زواجنا تقليدياً وسريعاً جداً. سمح لي أبي أن أتعرف عليه لفترة وجيزة قبل أي ارتباط رسمي لأستطيع اتخاذ القرار الصائب، ومن ثم تزوجنا بعد أشهرقليلة.

حياتي معه هادئة جداً خالية من المفاجآت أو الصدمات ولله الحمد، هو إنسان تقليدي جداً ومسالم لأبعد الحدود، عمله كطبيب يجعل منه شخصية هادئة تستطيع امتصاص غضب من أمامه بسهولة. كان مروان قليل الكلام و لا يتدخل فيما لا يعنيه، ومن الصعب جداً استفزازه أو إثارة غضبه.

قبل زواجي بفترة وجيزة، كنتُ قد اتخذتُ الخطوات الأولى في مشروعي الخاص أخيراً بمساعدة مجموعة من الأصدقاء. كان ذلك العمل هو العامل الأساسي الذي ساعدني على أن أبقى مشغولة ولا أفكر في سيف ومحاولاته البائسة في الزواج مني بدون علم زوجته المسكينة. كانت تلك الرسالة الحزينة التي وصلتني من نادية هي التي أنقذتني ومنعتني من الموافقة على سيف بعد أن كنتُ سأرضخ لطلبه، لا أدري ما الذي يدفعه ليكذب بقوله أن زوجته تعرف بأمر زواجه و هي موافقة على ذلك، و رسالة نادية مليئة بالألم بعد أن عرفت بأمر خيانة سيف لها، حمدت الله أني علمت بذلك و ابتعدتُ قبل أزيد ألمها و أكون سبباً اخر في هدم بيتها و عائلتها.

بدأنا المشروع بتصميم المواقع الإلكترونية وبرامج الهواتف الذكية للزبائن من منازلنا، وبعد فترة وجيزة استطعتُ أن أفتح مكتباً خاصاً لهذا العمل.

ازدادت مسؤولياتي في شركة الرؤية، بالذات بعد أن توسع نطاقها وتم افتتاح أكثر من فرع لها في العالم، فكانت مهمتنا كموظفين قدامى ومتميزين أن نشرف على عمليات تدريب الموظفين الجدد وسير عملهم. كنت أضطر لأن أسافر أكثر من مرة في الشهر الواحد إلى مختلف فروع الشركة، بالإضافة لمشاركاتي في المؤتمرات والمعارض. أصبحتُ أقضي ساعات أطول في العمل

بين الشركة وبين مشروعي، حتى شعرتُ بأني لا أستطيع التوفيق بين الاثنين بالذات بعد أن أنجبتُ عمر.

بعد فترة استشرتُ مروان أن أترك عملي في شركة الرؤية وأركز في المشروع، وهكذا أستطيع قضاء وقت أطول في المنزل والاهتمام بطفلي. فكرت كثيراً في الأمر وبعد تشجيع مروان قدمت استقالتي من الشركة.

عارضني مديري كثيراً لأنه يرى فيّ طاقات مستقبلية كبيرة، وقد عملتُ بجهد طوال السنوات الماضية لأصل لهذا المستوى، ولا يجوز أن أضحي بكل ذلك بهذه السهولة، ولكني شرحتُ له أسبابي، ورشحتُ له أسماء الموظفين الذين دربتهم ليحلوا مكاني، ووافقني في النهاية وتمنى لي التوفيق.

سافرتُ مع مروان وعمر إلى تركيا وسكنا في منطقة السلطان أحمد، كنتُ أحاول بكل قوتي أن لا أفتح الباب لتلك الذكريات التي أبت إلا أن تهاجمني. رائحة الذرة والكستناء، نكهة القرفة في السحلب، برودة الجو، أصوات بائعات الإكسسوارت المحلية، كل شيء كان يريد أن يذكرني، ولكني أقفلت باب قلبي وعقلي أمامهم جميعاً ولم أسمح لهم بالدخول.

ـ المنطقة جميلة جداً. قال مروان وهو يأخذ نفساً عميقاً..

ـ نعم ، إنها بالفعل جميلة.

ـ لم تأتِ إلى هنا من قبل أليس كذلك؟

نظرت إليه، فكرت قليلاً، ثم قلت:

ـ جئت في مهمة رسمية قصيرة، لم أتجول كثيراً في المكان.

وأثناء جولتنا رأينا زوجين جالسين على أحد المقاعد في وسط منطقة السلطان أحمد، كان منظرهما جميلاً جداً يشبه كل شيء جميل هنا.

نظرتُ إلى مروان وقلت له:

ـ أريد أن نشيخ معاً.

قبلني على جبيني وقال:

ـ سنكبر معاً، وسيكبر أبناؤنا معنا، ولن تجدي هدوءاً كهدوء هذين الاثنين.

ضحكنا نحن الإثنان، رأيت المرأة تُلوح لعمر تطلب منه القدوم، وكعادة عمر الودودة والجريئة، ركض إليها واحتضنها، فرحت العجوز كثيراً فانفجرنا جميعنا ضحكاً، التقطتُ لهما صوراً كثيرة، ومن ثم ودعناهما وأكملنا مسيرتنا.

لأننا في اسطنبول، لم نستطع إلا أن نأخذ جولة بحرية حول البسفور رغم محاولاتي في تجنبها، كانت العبارّة مكتضة بالسواح من مختلف الأجناس، الجميع مستمتع بالأجواء، أخذتُ عمر إلى حافة العبارة ليطعم طيور النورس، أما مروان فقد تركنا وعاد إلى داخل الحجرة من شدة البرد. قضينا وقتاً رائعاً في إطعام الطيور وكنت أصفق له كلما ألقى خبزة..

- مريم! مريم انتبهي!

سمعت أحدهم ينادي باسمي، التفتُ خلفي لأرى طفلة جميلة تركض باتجاهنا، رفعتُ نظري للأعلى، لأرى "سيف" أمامي، وقتها فقط، انقضت عليّ جميع تلك الذكريات وطرحتني أرضاً.

-النهاية-